

سَبَّحَكَ
قَطْبُ

تَقْسِيْمُ
آيَاتِ
الرَّبِّ

دارالشرق—

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

تفسير آيات الرب

مِنْ سُورَةِ الْبَقَرَةِ

«الَّذِينَ يَأْكُلُونَ الرِّبَا لَا يَقُومُونَ إِلَّا كَمَا يَقُومُ الَّذِي
يَتَخَبَّطُهُ الشَّيْطَانُ مِنَ الْمَسِّ ، ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوا : إِنَّمَا
الْبَيْعُ مِثْلُ الرِّبَا . وَأَحَلَّ اللَّهُ الْبَيْعَ وَحَرَّمَ الرِّبَا . فَمَنْ جَاءَهُ
مَوْعِظَةٌ مِنْ رَبِّهِ فَانْتَهَى فَلَهُ مَا سَلَفَ وَأَمْرُهُ إِلَى اللَّهِ ، وَمَنْ
عَادَ فَأُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ (٢٧٥) . يَمْحَقُ
اللَّهُ الرِّبَا وَيُرْبِي الصَّدَقَاتِ ، وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ كُلَّ كَفَّارٍ
أَثِيمٍ . (٢٧٦)

«إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ ، وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ
وَأَتَوْا الزَّكَاةَ لَهُمْ أَجْرُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ ، وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ
وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ . (٢٧٧) .

« يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَذَرُوا مَا بَقِيَ مِنَ الرِّبَا إِن كُنتُمْ مُؤْمِنِينَ (٢٧٨) . فَإِنْ لَمْ تَفْعَلُوا فَأْذَنُوا بِحَرْبٍ مِنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ ، وَإِنْ تُبْتُمْ فَلَكُمْ رُءُوسُ أَمْوَالِكُمْ لَا تَظْلِمُونَ وَلَا تُظْلَمُونَ (٢٧٩) . وَإِنْ كَانَ ذُو عُسْرَةٍ فَنَظِرَةٌ إِلَى مَيْسَرَةٍ ، وَأَنْ تَصَدَّقُوا خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ (٢٨٠) وَاتَّقُوا يَوْمًا تُرْجَعُونَ فِيهِ إِلَى اللَّهِ ثُمَّ تُوَفَّى كُلُّ نَفْسٍ مَا كَسَبَتْ . وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ... (٢٨١) . »

الوجه الآخر المقابل للصدقة التي عرض دستورها في الدرس الماضي الوجه الكالـح الطالـح هو الربا !

الصدقة عطاء وسماحة ، وطهارة وزكاة ، وتعاون وتكافل ، والربا شح ، وقذارة وذنس ، وأثرة وفردية ..

والصدقة نزول عن المال بلا عوض ولا رد . والربا استرداد للدين ومعه زيادة حرام مقطوعة من جهد المدين أو من لحمه . من جهده إن كان قد عمل بالمال الذي استدانه فربح نتيجة لعمله هو وكده . ومن لحمه إن كان لم يربح أو خسر ، أو كان قد أخذ المال للنفقة منه على نفسه وأهله ولم يسترجعه شيئاً ..

ومن ثم فهو — الربا — الوجه الآخر المقابل للصدقة ..
الوجه الكالـح الطالـح !

لهذا عرضه السياق مباشرة بعد عرض الوجه الطيب السمع
الظاهر الجميل الودود ! عرضه عرضاً منفراً ، يكشف عما في
عملية الربا من قبح وشناعة ، ومن جفاف في القلب وشر في
المجتمع ، وفساد في الأرض وهلاك للعباد .

ولم يبلغ من تفضيع أمر أراد الإسلام إبطاله من أمور الجاهلية
ما بلغ من تفضيع الربا . .

ولا بلغ من التهديد في اللفظ والمعنى ما بلغ التهديد في أمر الربا -
في هذه الآيات وفي غيرها في مواضع أخرى - والله الحكمة
البالغة . فلقد كانت للربا في الجاهلية مفسده وشروره . ولكن
الجوانب الشائنة القبيحة من وجهه الكالح ما كانت كلها بادية
في مجتمع الجاهلية كما بدت اليوم وتكشفت في عالمنا الحاضر ،
ولا كانت البثور والدمامل في ذلك الوجه الدميم مكشوفة كلها
كما كشفت اليوم في مجتمعنا الحديث . فهذه الحملة المفزعة البادية
في هذه الآيات على ذلك النظام المقيت ، تتكشف اليوم حكمتها
على ضوء الواقع الفاجع في حياة البشرية ، أشد مما كانت متكشفة
في الجاهلية الأولى . وبدرك - من يريد أن يتدبر حكمة الله
وعظمة هذا الدين وكمال هذا المنهج ودقة هذا النظام - بدرك
اليوم من هذا كله ما لم يكن بدركه الذين واجهوا هذه النصوص
أول مرة . وأمامه اليوم من واقع العالم ما يصدق كل كلمة
تصديقاً حياً مباشراً واقعاً . والبشرية الضالة التي تأكل الربا وتوكله
تنصب عليها البلايا الماحقة الساحقة من جراء هذا النظام الربوي ،

في أخلاقها ودينها وصحتها واقتصادها .. وتلقى - حقاً - حرباً
من الله تصب عليها النعمة والعذاب . أفراداً وجماعات ، وأماً
وشعوباً ، وهي لا تعتبر ولا تفيق !

وحيثما كان السياق يعرض في الدرس السابق دستور الصدقة
كان يعرض قاعدة من قواعد النظام الاجتماعي والاقتصادي
الذي يريد الله للمجتمع المسلم أن يقوم عليه ، وبحسب للبشرية أن
تستمتع بما فيه من رحمة .. في مقابل ذلك النظام الآخر الذي
يقوم على الأساس الربوي الشرير القاسي اللئيم .

إنهما نظامان متقابلان : النظام الإسلامي . والنظام الربوي !
وهما لا يلتقيان في تصور ! ولا يتفقان في أساس ، ولا يتوافقان
في نتيجة .. إن كلاهما يقوم على تصور للحياة والأهداف
والغايات يناقض الآخر تمام المناقضة . وينتهي إلى ثمرة في حياة
الناس تختلف عن الأخرى كل الاختلاف .. ومن ثم كانت هذه
الحملة المفزعة ، وكان هذا التهديد الرعب !

إن الإسلام يقيم نظامه الاقتصادي - ونظام الحياة كلها -
على تصور معين يمثل الحق الواقع في هذا الوجود .

يقيم على أساس أن الله - سبحانه - هو خالق هذا الكون
فهو خالق هذه الأرض ، وهو خالق هذا الإنسان .. هو الذي
وهب كل موجود وجوده ..

وأن الله - سبحانه - وهو مالك كل موجود بما أنه هو

موجدہ - قد استخلف الجنس الإنساني في هذه الأرض ،
 ومكنه مما ادخر له فيها من أرزاق وأقوات ومن قوى وطاقات ،
 على عهد منه وشرط . ولم يترك له هذا الملك العريض فوضى ،
 يصنع فيه ما يشاء كيف شاء . وإنما استخلفه فيه في إطار من
 الحدود الواضحة . استخلفه فيه على شرط أن يقوم في الخلافة
 وفق منهج الله . وحسب شريعته فما وقع منه من
 عقود وأعمال ومعاملات وأخلاق وعبادات وفسق
 التعاقد فهو صحيح نافذ . وما وقع منه مخالفاً لشروط
 التعاقد فهو باطل موقوف . فإذا أنفذه قوة وقسراً فهو إذن ظلم
 واعتداء لا يقره الله ولا يقره المؤمنون بالله . فالحاكمة في الأرض
 - كما هي في الكون كله - لله وحده . والناس حاكمهم
 ومحكومهم - إنما يستمدون سلطانهم من تنفيذهم لشريعة الله
 ومنهجه ، وليس لهم - في جملتهم - أن يخرجوا عنها ، لأنهم إنما
 هم وكلاء مستخلفون في الأرض بشرط وعهد وليسوا
 ملاكاً خالقين لما في أيديهم من أرزاق .

من بين بنود هذا العهد أن يقوم التكافل بين المؤمنين بالله
 فيكون بعضهم أولياء بعض ، وأن ينتفعوا برزق الله الذي
 أعطاهم على أساس هذا التكافل - لا على قاعدة الشبوع المطلق
 كما تقول الماركسية . ولكن على أساس الملكية الفردية المقيدة -
 فمن وهبه الله منهم سعة أفاض من سعته على من قدر عليه رزقه .

مع تكليف الجميع بالعمل كل حسب طاقته واستعداده وفيما
يسر ، الله له - فلا يكون أحدهم كلاً على أخيه أو على الجماعة
وهر قادر كما بينا ذلك من قبل . وجعل الزكاة فريضة في المال
محددة . والصدقة تطوعاً غير محددة .

وقد شرط عليهم كذلك أن يلتزموا بجانب القصد
والاعتدال ، ويتجنبوا السرف والشطط فيما يتفقون من رزق
الله الذي أعطاهم ، وفيما يستمتعون به من الطيبات التي أحلها
لهم . ومن ثم تظل حاجتهم الاستهلاكية للمال والطيبات محدودة
بمحدود الاعتدال . وتظل فضلة من الرزق معرضة لفريضة الزكاة
وتطوع الصدقة . وبخاصة أن المؤمن مطالب بشمير ماله وتكثيره .

وشرط عليهم أن يلتزموا في تنمية أموالهم وسائل لا ينشأ
عنها الأذى للآخرين ، ولا يكون من جرائها تعويق أو تعطيل
لآخرين الأرزاق بين العباد ، ودوران المال في الأيدي على أوسع
نطاق : « كي لا يكون دولة بين الأغنياء منكم » .

وكتب عليهم الطهارة في النية والعمل ، والنظافة في الوسيلة
والغاية ، وفرض عليهم قيوداً في تنمية المال لا يجعلهم يسلكون
إليها سبلاً تؤذي ضمير الفرد وخلقه ، أو تؤذي حياة الجماعة
وكيانها^(١) .

وأقام هذا كله على أساس التصور الممثل لحقيقة الواقع في

١ - يراجع فصل « سياسة المال » في كتاب « العدالة الاجتماعية في الإسلام » .

هذا الوجود ، وعلى أساس عهد الاستحلاف الذي يحكم كل تصرفات الإنسان المستحلف في هذا الملك العريض

ومن ثم فالرنا عملية تصطدم ابتداء مع قواعد التصور الإنساني إصلاً ، ونظام يقوم على تصور آخر . تصور لا يطر فيه لله سبحانه وتعالى . ومن ثم لا رعاية فيه للمادى والعاليات والأخلاق التي يرمد الله للبشر أن تقوم حائهم عنبها

إنه يقوم ابتداء على أساس أن لا علاقة بين إرادة الله وحياة البشر . فالإنسان هو سيد هذه الأرض ابتداء ، وهو غير مقيد بعهد من الله ، وغير مبرم ناتاع أوامر الله !

ثم إن الفرد حر في وسائل حصوله على المال ، وفي طرق تسميته . كما هو حر في التمتع به . غير ملتزم في شيء من هذا بعهد من الله أو شرط ، وغير مقيد كذلك بمصلحة الآخرين . ومن ثم فلا اعتبار لأن يتأذى الملايين إذا أضاف إلى خراته ورصيده ما يستطيع إصافته . وقد تتدخل لقوانين الوصعية أحياناً في أحد من حربته هذه - حربياً - في تحديد سعر الفائدة مثلاً ، وفي مع أنواع من الاحتيال والصب والغصب والنهب والعش والصرر . ولكن هذا التدخل يعود إلى ما يتوابع عليه أساس أنفسهم ، وما تفودهم إليه أهواؤهم ، لا إلى مبدأ ثابت مفروض من سلطة إلهية !

كذلك يقوم على أساس تصور خاطيء وسد هو أن رعاية العائات للوجود الإنساني هي تخصيصه للمال - بأية وسيلة -

واستمتاعه به على النحو الذي يهوى ! ومن ثم يتكالب على جمع المال وعلى المتاع به ، ويدوس في الطريق كل مدأ وكل صالح للآخرين . !

ثم بشيء في النهاية نظاماً يسحق البشرية سحقاً ، ويشقيها في حياتها أفراداً وجماعات ودولاً وشعوباً ، لمصلحة حفنة من المرائس ، ويحطها أخلاقياً ونفسياً وعصبياً ، ويحدث اختلال في دورة المال ونمو الاقتصاد المشري عموماً سويماً . وينتهي كما انتهى في العصر الحديث — إلى تركيز السلطة الحقيقية والموود العملي على البشرية كلها في أيدي رمرة من أحط خلق الله وأشدهم شراً ، وشرذمة ممن لا يراعون في البشرية إلا ولا ذمة . ولا يراقبون فيها عهداً ولا حرمة . وهؤلاء هم الذين يدايئون الناس أفراداً ، كما يدايئون الحكومات والشعوب — في داخل بلادهم وفي خارجها — ونرجع اليهم الحصيلة الحقيقية لجهد البشرية كلها ، وكند الآدميين وعرقهم ودمائهم . في صورة فوائد ربوية لم يبذلوا هم فيها جهداً !

وهم لا يملكون المال وحده . إنما يملكون النعوذ . ولما لم تكن لهم مبادئ ولا أخلاق ولا تصور ديني أو أخلاقي على الإطلاق ، بل لما كانوا يسحرون من حكاية الأديان والأخلاق والمثل والمبادئ ، فإياهم بطبيعة الحال يستخدمون هذا النعوذ المائل الذي يملكونه في إنشاء الأوصاف والأفكار والمشروعات التي تمكنهم من زيادة الاستغلال ، ولا تقف في طريق جشعهم

وخسة أهدافهم .. وأقرب الوسائل هي تخطيم أخلاق البشرية وإسقاطها في مستنقع آسن من اللذائذ والشهوات ، التي يدفع فيها الكثيرون آخر فلس يملكونه . حيث تسقط العلوس في المصائد والشاك المصونة ، وذلك مع التحكم في جريان الاقتصاد العالمي وفق مصالحهم المحدودة ، ، مهما أدى هذا إلى الأزمات الدورية المعروفة في عالم الاقتصاد ، وإلى انحراف الإنتاج الصناعي والاقتصادي كنه عما فيه مصلحة المجموعة البشرية إلى مصلحة المولدين المرابين ، الذين تتجمع في أيديهم خيوط الثروة العالمية !

والكارثة التي تمت في العصر الحديث ولم تكن بهذه الصورة الشعة في الجاهلية هي أن هؤلاء المرابين - الذين كانوا يمثلون في الزمن الماضي في صورة أفراد أوبوت مالية كما يمثلون الآن في صورة مؤسسي المصارف العصرية قد استطاعوا بما لديهم من سلطة هائلة ضخمة داخل أجهزة الحكم العالمية وخارجها ، وبما يملكون من وسائل التوجيه والإعلام في الأرض كلها .. سواء في ذلك الصحف ولكتب والجامعات والأساتذة ومحطات الإرسال ودور السينما وغيرها .. أن يشتروا عقلية عامة بين جماهير البشر المساكين الذين يأكل أولئك المرابون عظامهم ويخومهم ، ويشربون عرقهم ودماءهم في ظل النظام الربوي هذه العقيدة العامة حاصصة للإنحياز للحيث المسموم بأن الرأ هو النظام الطبيعي المعقول ، والأساس الصحيح الذي لا أساس

غيره للسو الاقتصادي ، وأنه من بركات هذا النظام وحسناته كان هذا التقدم الحضاري في الغرب وأن الدين يريدون إبطائه جماعة من الخياليين غير العمليين - وأنهم إنما يعتمدون في نظرتهم هذه على مجرد نظريات أخلاقية ومثل خيالية لا رصيد لها من الواقع ، وهي كميلة بإفساد النظام الاقتصادي كله لو سمح لها أن تتدخل فيه ، حتى ليتعرض الدين يستفدون النظام الربوي من هذا الجانب ، للسحرية من الشر الدين هم في حقيقة الأمر صحابا نائسة لهذا النظام ذاته ! صحابا شأنهم شأن الاقتصاد العالمي نفسه . الذي تصطره عصانات المرائين العالمية لأن يجري جريانا غير طبيعي ولا سوي . ويتعرض للهزات الدورية المخطئة ! وبحرف عن أن يكون نافعا للبشرية كلها ، إلى أن يكون وقعا على حفنة من الدواب قليلة !

إن النظام الربوي نظام معيب من الوجهة الاقتصادية البحتة - وقد بلغ من سوءه أن تنبه لعيونه بعض أساندة الاقتصاد الغربيين أنفسهم ، وهم قد شأوا في طله ، وأشربت عقولهم وثقاتهم تلك السموم التي تنشأ عصابات المال في كل فروع الثقافة والتصور والأخلاق . وفي مقدمة هؤلاء الأساندة الذين يعيرون هذا النظام من الناحية الاقتصادية البحتة « دكتور شاحت » الألماني ومدير بنك الرايخ الألماني سابقا . وقد كان مما قاله في محاضرة له بدمشق عام ١٩٥٣ أنه عملية رياضية (غير متناهية) يتصحح أن جميع المال في الأرض صائر إلى عدد قليل جداً من

المرايين . ذلك أن الدائن المرابي يربح دائماً في كل عملية ،
 يسما المدين معرض للربح وخسارة ومن ثم فإن المدين كله في
 النهاية لابد - بالحساب الرياضي - أن يصير إلى اندي يربح
 دائماً ! وأن هذه الطريقة في طريقها لتحقيق الكامل . فإن
 معظم مال الارض الآن يملكه - ملكاً حقيقياً - بضعة ألوف .
 أما جميع الملاك وأصحاب المصانع الذين يستندون من اسوك
 والعمال ، وغيرهم ، فهم ليسوا سوى أجراء يعملون لحساب
 أصحاب المال ، ويحني ثمرة كدهم أو ثلثك الألوف !

وليس هذا وحده هو كل ما نربا من حرية فإن قيام
 النظام الاقتصادي على الأساس الرئوي يجعل العلاقة بين أصحاب
 الأموال وبين العاملين في التجارة والصناعة علاقة مضامره
 ومشاكسة مستمرة . فإن المرابي يحنهد في الحصول على أكبر
 فائدة . ومن ثم يمسك المال حتى يريد اضطرار التجارة والصناعة
 إليه ويرفع سعر الفائدة ؛ وبطل يرفع السعر حتى يجد العاملون
 في التجارة والصناعة انه لا فائدة لهم من استخدام هذا المال ،
 لأنه لا يدر عليهم ما يوفرون به الفائدة ويفضل لهم منه شيء .

عندئذ يكتمش حجم المال المستخدم في هذه المجالات التي تشتغل
 فيها الملايين وتصبق المصانع دائرة إنتاجها ، ويتعطل العمال
 فتقل القدرة على الشراء وعندما يصل الأمر إلى هذا الحد
 ويحد المرابون أن الطلب على المال قد نقص أو توقف ، يعودون
 إلى خفض سعر الفائدة اضطراراً . فيقل عليه العاملون في

الصناعة والتجارة من جديد ، وتعود دورة الحياة إلى الرخاء . .
وهكذا دواليك تقع الأزمات الاقتصادية الدورية العالمة .
ويظل الشر هكذا يدورون فيها كالسائمة !

ثم إن جميع المستهلكين يؤدون صريية غير مباشرة للمرابين . فإن أصحاب الصناعات والتجار لا يدفعون فائدة الأموال التي يقرضونها بالرأيا إلا من حبوب المستهلكين ، فهم يريدونها في أثمان السلع الاستهلاكية فيتورع عوؤها على أهل الأرض لتدخل في حبوب المرابين في النهاية . أما الديون التي تقرضها الحكومات من بيوت المال لتقوم بالإصلاحات والمشروعات العمرانية فإن رعاياها هم الذين يؤدون فائدتها للبيوت الربوية كذلك إذ أن هذه الحكومات تضطر إلى زيادة الضرائب المختلفة لتسددها هذه الديون وفوائدها . ولذلك يشترك كل فرد في دفع هذه الخزية للمرابين في نهاية المطاف . . . وقبلما ينتهي الأمر عند هذا الحد ، ولا يكون إلا الاستعمار هو نهاية الديون . ثم تكون الحروب بسبب الاستعمار

ونحن هنا - في طلال القرآن - لاستقصي كل عيوب النظام الربوي فهذا مجاهد بحث مستقل ^(١) هنكتفي بهذا القدر لتخلص منه إلى تنبيه من يريدون أن يكونوا مسلمين إلى جملة

١ - نراجع البحوث القيمة الثمينة التي كتبها المعلم العظيم السيد أبو الأعلى مودودي عن الربا وعن أسس الاقتصاد بين الإسلام والنظم المعاصرة .

حقائق أساسية تصدد كراهية الإسلام للنظام الربوي المقيت .

الحقيقة الأولى . - التي يجب أن تكون مستبقة في نفوسهم أنه لا إسلام مع قيام نظام ربوي في مكان . وكل ما يمكن أن يقوله أصحاب الفتاوي من رجاء الدين أو غيرهم سوى هذا دجل وخذاع . فأساس التصور الإسلامي كما بينا يصطدم اصطداماً مباشراً بالنظام الربوي ، ونتائج العمية في حياة الناس وتصوراتهم وأخلاقهم .

والحقيقة الثانية . أن النظام الربوي بلاء على الإنسانية - لا في إيمانها وأخلاقها وتصورها للحياة محسب - بل كذلك في صميم حياتها الاقتصادية والعملية ، وأنه أشنع نظام بمحق سعادة البشرية محققاً . ويعطل نموها الإنساني المتوارث ، على الرغم من انطلاء الظاهري الخداع ، الذي يبدو كأنه مساعدة من هذا النظام للنمو الاقتصادي العام .

والحقيقة الثالثة . أن النظام الأخلاقي والنظام العملي في الإسلام مترابطان تماماً . وأن الإنسان في كل تصرفاته مرتبط بعهد الاستحلاف وشرعه . وأنه مختبر ومتمثل ومتمتع في كل نشاط يقوم به في حياته ، ومحاسب عليه في آخرته . فليس هناك نظام أخلاقي وحده ونظام عملي وحده . وإنما هما معاً يؤلفان نشاط الإنسان ، وكلاهما عادة يؤجر عليها إن أحسن ، وإثم يؤاخذ عليه إن أساء . وأن الاقتصاد الإسلامي نتاج لا يقوم بغير أخلاق ، وأن الأخلاق ليست نافذة

يمكن الاستغناء عنها ثم تنجح حياة الناس العملية .

والحقيقة الرابعة : أن التعامل الربوي لا يمكن إلا أن يفسد ضمير الفرد وخلقه ، وشعوره تجاه أخيه في الجماعة ، وإلا أن يفسد حياة الجماعة البشرية وتضامنها بما يبثه من روح الشر والطمع والأثرة والمخاتلة والمقامرة بصفة عامة . أما في العصر الحديث فإنه يعد الدافع الأول لتوجيه رأس المال إلى أخط وجوه الاستثمار . كي يستطيع رأس المال المستدان بالربا أن يربح ربحاً مضموناً ، فيؤدي الفائدة الربوية ويفضل منه شيء للمستدين . ومن ثم فهو الدافع المباشر لاستثمار المال في الأقلام القنطرة والصحافة القنطرة والمراقص والملاهي والرقائق الأبيض وسائر الحرف والاتجاهات التي تحطم أخلاق البشرية تحطيماً . . والمال المستدان بالربا ليس همه أن ينشئ أنفع المشروعات للبشرية ، بل همه أن ينشئ أكثرها ربحاً . ولو كان الربح إنما يجيء من استشارة أخط العرائر وأقذر الميول . . وهذا هو المشاهد اليوم في أنحاء الأرض . وسببه الأول هو التعامل الربوي 1

والحقيقة الخامسة . أن الإسلام نظام متكامل . فهو حين يحرم التعامل الربوي يقيم نظمه كلها على أساس الاستغناء عن الحاجة إليه ، ويظم جوانب الحياة الاجتماعية بحيث تستفي منها الحاجة إلى هذا النوع من التعامل ، بدون مساس بالنمو الاقتصادي والاجتماعي والإنساني المطرد .

والحقيقة السادسة . أن الإسلام - حين يتاح له أن ينظم الحياة وفق تصوره ومهجه الخاص - لن يحتاج عند إلغاء التعامل الربوي ، إلى إلغاء المؤسسات والأجهزة اللازمة لنمو الحياة الاقتصادية العصرية نموها الطبيعي السليم . ولكنه فقط سيظهرها من لثة الربا ودنسه . ثم يتركها تعمل وفق قواعد أخرى سليمة . وفي أول هذه المؤسسات والأجهزة : المصارف والشركات وما إليها من مؤسسات الاقتصاد الحديث .

والحقيقة السابعة : وهي الأهم . ضرورة اعتقاد من يريد أن يكون مسلماً ، بأن هناك استحالة اعتقادية في أن يحرم الله أمراً لا تقوم الحياة الشريفة ولا تتقدم بدونه ! كما أن هناك استحالة اعتقادية كذلك في أن يكون هناك أمر حيث ويكون في الوقت ذاته حتماً لقيام الحياة وتقدمها . فالله سبحانه هو خالق هذه الحياة ، وهو مستحلف الإنسان فيها ؛ وهو الأمر بتشيئها وترقيتها ؛ وهو المرید لهذا كله الموفق إليه . فهناك استحالة إذن في تصور المسلم أن يكون فيما حرمه الله ، شيء لا تقوم الحياة الشريفة ولا تتقدم بدونه . وأن يكون هناك شيء بحيث ، هو حتمي لقيام الحياة ورفقيها . وإعما هو سوء التصور ، وسوء الفهم والدعاية المسمومة الحبيثة الطاغية التي دأبت أجيالاً على بث فكرة . أن الربا ضرورة للسمر الاقتصادي والمعماني ، وأن النظام الربوي هو النظام الطبيعي . وبث هذا التصور الخادع في مناهل الثقافة العامة ، ومابع المعرفة الإنسانية في

مشارك الأرص ومعارها . ثم قيام الحياة الحديثة على هذا الأساس فعلاً سمي بيوت الدب والمرابين وصعوبة تصور قيامها على أساس آخر وهي صعوبة نشأ أولاً من عدم الإيمان . كما نشأ ثانياً من ضعف التمكيز وعجزه عن التحرر من دس الوهم الذي اجتهد المرابون في بثه وتمكيبه عما لهم من قدرة على التوجيه . وملكية للنفود داخل الحكومات العالمية . وملكية لأدوات الإعلام العامة والخاصة .

والحقيقة الثامنة أن استحالة قيام الاقتصاد العالمي انيوم وعداً على أساس غير الأساس الربوي . ليست سوى حرافة أو هي أكلونية صحنمة تعيش لأن الأجهزة التي يستخدمها أصحاب المصلحة في نقائها أجهزة صحنمة فعلاً^١ وأنه حين تصع الية . ونعزم البشرية — أو تعزم الأمة المسلمة — أن تسترد حررتها من قبضة العصابات الربوية العالمية ، وتريد لنفسها خير والسعادة والبركة مع نطافة الخلق وطهارة المجمع . فإن الحال مفتوح لإقامة النظام الآخر الرشيد . الذي أراده الله فالشرية ، والذي طلق فعلاً^٢ . وتمت الحياة في طئه فعلاً^٣ . وما نرا قائلة للعو تحت إشرافه وفي طلاله ، لو عقل الناس ورشدوا !

وليس هنا مجال تفصيل القوي في كيمييات التطبيق ووسائله . فحسنا هذه الإشارات المجملية^٤ وقد تبين أن شاعة لعملية

١ - يمكن الرجوع إلى بعض الاقتراحات المسماة في بحوث الأستاذ المؤددي التي سبقت الإشارة إليها

الربوية ليست ضرورة من ضرورات الحياة الاقتصادية ، وأن
الإنسانية التي انحرفت عن السبيل قدماً حتى ردها الإسلام
إليه ، هي الإنسانية التي تسحر اليوم الأحراف دانه ، ولا تنفي
إلى السبيل القويم الرحيم السليم .

فلننظر كيف كانت ثورة الإسلام على تلك انشاعة التي
داقت منها البشرية ما لم ندق قط من بلاء :

* * *

« الذين يأكلون الربا لا يقومون إلا كما يقوم الذي يتحبطه
الشيطان من المس ذلك بأنهم قالوا : إنما البيع مثل الربا وأحل
الله البيع وحرم الربا . فمض حاءه موعظة من ربه فانتهى فله
ما سلف وأمره إلى الله ومن عاد فأولئك أصحاب النار
هم فيها خالدون . محقق الله الربا ويربي الصدقات . والله
لا يحب كل كفار أثيم . . . »

إنها الحملة المبررة والتصوير المبرر .

« لا يقومون إلا كما يقوم الذي يتحبطه الشيطان من المس »
وما كان أي تهديد معوي ليلج إلى الحس ما تبلمه هذه
الصورة المجسمة الحية المتحركة . صورة المسوس المصروع .
وهي صورة معروفة معهودة للناس . فالص يستحضرها لتؤدي
دورها الإيحائي في إزعاج الحس ، لاستجاشة مشاعر المرائين :
ومررها مرة عبيمة تخرجهم من مألف عاداتهم في نظامهم
الاقتصادي ، ومن حرصهم على ما يحققه لهم من الفائدة . وهي

ومسببة في التأثير التربوي ناجمة في موضعها . بينما هي في الوقت ذاته تعبر عن حقيقة واقعة . . . ولقد مصت معظم التفسير على أن المقصود بالقيام في هذه الصورة المفرعة ، هو القيام يوم العث . ولكن هذه الصورة — فيما نرى — واقعة بذاتها في حياة البشرية في هذه الأرض أيضاً ثم إنها تتفق مع ما سيأتي بعدها من الإنداء بحرب من الله ورسوله . ونحن نرى أن هذه الحرب واقعة وقائمة الآن ومسلطة على البشرية الصالحة التي تتخط كالمسوس في عقابيل النعيم الربوي . وقبل أن تفصل القول في مصداق هذه الحقيقة من وقع الشرية اليوم نبدأ بعرض الصورة الربوية التي كان يواجهها القرآن في الجزيرة العربية ؛ وتصورات أهل الجاهلية عنها . .

إن الربا الذي كان معروفاً في الجاهلية والذي نزلت هذه الآيات وغيرها لإبطاله ابتداء كانت له صورتان رئيسيتان : ربا النسبة ، و ربا الفضل .

فأما ربا النسبة فقد قال عنه قتادة ١٠ « إن ربا أهل الجاهلية يبيع الرجل البيع إلى أجل مسمى ، فإذا حل الأجل ، ولم يكن عند صاحبه قصاء زاده وأخر عنه ١٢ .

وقال مجاهد : « كانوا في الجاهلية يكون للرجل على الرجل الدين ، فيقول لك كذا وكذا نوخر عني . فيؤخر عنه ١٣ .

وقال أبو بكر الخصاص ١٤ « إنه معلوم أن ربا الجاهلية إنما

كان قرصاً موجلاً بزيادة مشروطة . فكانت الزيادة بدلاً من الأجل . فأبطله الله تعالى .

وقال الإمام الراري في تفسيره : « إن ربنا السيئة هو الذي كان مشهوراً في الحاهلية . لأن الواحد منهم كان يدفع ماله لغيره إلى أجل ، على أن يأخذ منه كل شهر قدرأ معيناً ، ورأس المال باق بحاله . فإذا حل طاله رأس ماله . فإن تعذر عليه الأداء زاده في الحق والأجل . »

وقد ورد في حديث أسامة بن زيد رضي الله عنهما أن النبي ﷺ قال : « لا ربا إلا في السيئة » .

أما ربا الفصل فهو أن يبيع الرجل لشيء نالشيء من نوعه مع زيادة . كبيع الذهب بالذهب والبراهم بالبراهم والقمح بالقمح ، والشعير بالشعير . . وهكذا . . وقد ألحق هذا النوع بالربا لما فيه من شبه به ، ولما يصاحبه من مشاعر مشابهة للمشاعر المصاحبة لعملية الربا . وهذه النقطة شديدة الأهمية لما في الكلام عن العمديات الخاصرة !

عن أبي سعيد الخدري قال : قال رسول الله ﷺ : « الذهب بالذهب ولنضة بالنضة واثبر بالبر ، والشعير بالشعير ، والتمر بالتمر ، والملح بالملح . . مثلاً بمثل . . يبدأ بيد . . فمن راد

أو استراد فقد أرسى الأحذ والمعطي فيه سواء (١) . . .

وعن أبي سعيد الخدري أيضاً قال : « جاء بلال إلى النبي ﷺ تمر بره فقال له النبي ﷺ : « من أين هذا ؟ » قال : كان عبدنا تمر رديء فبعت منه صاعين بصاع . فقال : أوه ! عين الربا . عين الربا لا تفعل . ولكن إذا أردت أن تشتري مع التمر بيع آخر ، ثم اشتره (٢) »

فأما النوع الأول فالربا طاهر فيه لا يحتاج إلى بيان إذ تتوافر فيه العناصر الأساسية لكل عملية ربوية . وهي : الزيادة على أصل المال . والأجل الذي من أجله تؤدي هذه الزيادة . وكون هذه الفائدة شرطاً مضموناً في التعاقد . أي ولادة المال للمال بسبب المدة ليس إلا

وأما النوع الثاني ، فمما لا شك فيه أن هناك فروقاً أساسية في الشئبين المتماثلين هي التي تقتضي الزيادة . وذلك واضح في حادثة بلال حين أعطى صاعين من تمره الرديء وأخذ صاعاً من التمر الجيد . ولكن لأن تماثل النوعين في الجس يخلق شبهة أن هناك عملية ربوية ، إذ يلد التمر التمر ! فقد وصفه ﷺ بالربا ، وهي عنه . وأمر ببيع الصنف المراد استبداله بالنقد . ثم شراء الصنف المطلوب بالنقد أيضاً . إعاداً لشح الربا من العملية تماماً !

١ - روى الشيخان .

٢ - متفق عليه .

وكذلك شرط لقصر . « بدأ بيد » كي لا يكون
التأجيل في بيع المثل بالمثل ، ولو من غير ريادة ، فيه شح من
الربا ، وعصر من عناصره !

إلى هذا ، لحد بلغت حساسية الرسول ﷺ بشح الربا في
أية عملية وبلغت كذلك حكمته في علاج عقلية الربا التي
كانت سائدة في الجاهلية .

فأما اليوم فيريد بعض المهرومين أمام التصورات الرأسمالية
العربية والطمع الرأسمالية العربية أن يقصروا التحريم على صورة
واحدة من صور الربا - ربا السيئة - بالاستناد إلى حديث
أسامة ، وإلى وصف السف للعميات الربوية في الجاهلية . وأن
يحلوا ديباً - وناسم الإسلام ! لصور الأخرى المستحدثة
التي لا تنطق في حرفة منها على ربا الجاهلية !

ولكن هذه المحاولة لا تزيد على أن تكون ظاهرة من
طواهر الهرطقة الروحية والعقبة . فالإسلام ليس بنظام شكليات
إنما هو نظام يقوم على تصور أصيل فهو حين حرم الربا
لم يكن يحرم صورة منه دون صورة ، إنما كان يهاجم تصوراً
يحالف تصوره ، ويحارب عقبة لا تتمشى مع عقليته وكان
شديد الحساسية في هذا إلى حد تحريم ربا الفصل إيعاداً لشح
العقبة الربوية والمشاعر الربوية من بعيد جداً !

ومن ثم فإن كل عملية ربوية حرام ، سواء جاءت في
الصور التي عرفتها الجاهلية أم استحدثت لها أشكال جديدة .

ما دامت تتضمن العناصر الأساسية للعملية الربوية ، أو تتسم
بسمعة العقلية الربوية .. وهي عقلية الأثرة والجشع والفردية
والمقامرة . وما دام يتلبس بها ذلك الشعور الحيث . شعور
الحصول على الربح بأية وسيلة !

فيبني أن نعرف هذه الحقيقة جيداً . ونستيقن من الحرب
المعلنة من الله ورسوله على المجتمع الربوي .

« الذين يأكلون الربا لا يقومون إلا كما يقوم الذي يتخبطه
الشيطان من المس » ..

والذين يأكلون الربا ليسوا هم الذين يأخذون الفائدة
الربوية وحدهم - وإن كانوا هم أول المهددين بهذا النص
الرعب - إنما هم أهل المجتمع الربوي كلهم .

عن جابر بن عبد الله - رضي الله عنه - أنه قال : لعن
رسول الله ﷺ آكل الربا وموكله ، وشاهديه وكاتبه ،
وقال : « هم سواء »^(١) .

وكان هذا في العمليات الربوية الفردية فأما في المجتمع
الذي يقوم كله على الأساس الربوي فأهله كلهم ملعونون .
معرضون للحرب الله ، مطرودون من رحمته بلا جدال .

إنهم لا يقومون في الحياة ولا يتحركون إلا حركة المسوس

١ - رواه مسلم وأحمد وأبو داود والترمذي .

المضطرب القلق المنخبط الذي لا ينال استقراراً ولا طمأنينة ولا راحة . . وإذا كان هناك شك في الماضي أيام بشاة النظام الرأسمالي الحديث في القرون الأربعة الماضية ، فإن تجربة هذه القرون لا تنفي بجلاً للشك أبداً . .

إن العالم الذي نعيش فيه اليوم - في أنحاء الأرض - هو عالم الاضطراب والقلق والخوف ، والأمراض العصبية والنفسية - باعتراف عقلاء أهله ومفكره وعلمائه ودارسيه ، ومشاهدات المراقبين والزائرين والعاشرين لأقطار الحصار الغربية . . وذلك على الرغم من كل ما بلغتة الحصار المادية ، والإنتاج الصناعي في مجموعه من الضخامة في هذه الأقطار . وعلى الرغم من كل مظاهر الرخاء المادي التي تأخذ بالأبصار ثم هو عالم الحروب الشاملة والتهديد الدائم بالحروب المييلة ، وحرب الأعصاب ، والاضطرابات التي لا تنقطع هنا وهناك .

إنها الشقوة البائسة المكودة ، التي لا تزيلها الحصار المادية ، ولا الرخاء المادي ، ولا بسر الحياة المادية وحفضها وليسها في بقاع كثيرة . وما قيمة هذا كله إذا لم ينشئ في النفوس السعادة والرضى والاستقرار والطمأنينة ؟

إنها حقيقة تواجه من يريد أن يرى ، ولا يضع على عينيه عشاوة من صمغ نفسه كي لا يرى ! حقيقة أن الناس في أكثر بلاد الأرض رخاء عاماً . . في أمريكا ، وفي السويد ، وفي غيرهما من الأقطار التي تفيض رخاء مادياً . . أن الناس ليسو

سعداء . أنهم قلقون يطل القلق من عيونهم وهم أعباء
 وأن الممل أكل حياتهم وهم مستغرقون في الإنتاج ' وهم
 يعرفون هذا المثل في العريضة والصحب تارة وفي « التفاليع »
 الغريبة الشادة تارة . وفي الشوذة الحسي والعسي تارة . ثم
 يحسون بالحاجة إلى الحرب الحرب من أنفسهم ومن اخوة
 الذي يعيش فيها ! ومن الشقاء الذي ليس به سبب ظهر
 من مرافق الحياة وجرباها فيهربون بالانتحار ويهربون
 بالحمون . ويهربون بالشوذة ! ثم يطاردهم شبح القلق واخوة
 والفراع ولا يدعهم يستريحون أبداً ' .

مسادا ٢

السبب الرئيسي طبعاً هو حواء هذه الأرواح الشريرة الهائمة
 المعذبة الصالة المكودة - على كل ما لديها من الرخاء المادي -
 من راد الروح من الإيمان من الاطمئنان إلى الله .
 ونحواتها من الأهداف الإنسانية الكبيرة التي يشنها ويرسمها
 الإيمان بالله ، وحلافة الأرض وفق عهده وشرطه

ويتفرع من ذلك السبب الرئيسي الكبير . بلاء الرأيا .
 بلاء الاقتصاد الذي يعمو ولكه لا ينمو سوباً معتدلاً بحيث
 تنورع حيرات عمه وبركانها على الشربة كلها . إنما يعمو
 مائلاً جاعاً إلى حصة الممولين المرائين ، القاعين وراء المكتب
 الصحة في انصارف ، يقرصون الصناعة والتجارة بالمائدة
 المحددة المضمونة ، ويجبرون الصناعة والتجارة على أن تسير

في طريق معين ليس هدفه الأول سد مصالح البشر وحاجاتهم التي يسعد بها الجميع ، والتي تكفل عملاً منتظماً للجميع ، والتي تنهي طمأنينة هسية وصمات اجتماعية للجميع . . . ولكن هدفه هو إنتاج ما يحقق أعلى قدر من الربح ، ولو حطم الملايين وحرم الملايين وأفسد حياة الملايين ، وورع الشك والقلق والخوف في حياة البشرية جميعاً !

وصدق الله العظيم : « الدين يأكلون الرء لا يقومون إلا كما يقوم الذي يتحطه الشيطان من المس » . . . وها نحن أولاء نرى مصداق هذه الحقيقة في واقعنا العالمي اليوم !

ولقد اعترض المرابون في عهد رسول الله ﷺ على تحريم الربا . اعترضوا بأنه ليس هناك مبرر لتحريم العمليات الربوية وتحليل العمليات التجارية :

« ذك أنهم قالوا : بما البيع مثل الربا وأحل الله البيع وحرم الربا »

وكاتب الشهة التي ركوا اليها . هي أن البيع يحقق فائدة وربحاً ، كما أن الربا يحقق فائدة وربحاً . وهي شهة واهية فالعمليات التجارية قاسة للربح وللخسارة والمهارة الشخصية واجهد الشخصي والعروف الطبيعية الخيرية في الحياة هي التي تحكم في الربح والخسارة أما العمليات الربوية فهي محددة الربح في كل حاة وهذا هو الفارق الرئيسي وهذا هو مناط التحريم والتحليل .

إن كل عملية يصنع فيها الربح على أي وضع هي عملية
ربوية محرمة بسبب ضمان الربح وتخليده .. ولا مجال
للمباحة في هذا ولا للمداورة !

« وأحل الله البيع وحرم الربا » ..

لا نساء هذا العنصر من البيع ، ولأسباب أخرى كثيرة
تجعل عمليات التجارة في أصلها نافعة للحياة البشرية ، وعمليات
الربا في أصلها مفسدة للحياة البشرية ^(١) .

وقد عالج الإسلام الأوصاف التي كانت حاضرة في ذلك
الزمان معالجة واقعية ، دون أن يحدث هزة اقتصادية واجتماعية :
« فمن جاءه موعظة من ربه فانتهى فله ما سلف وأمره
إلى الله » ..

لقد جعل سريان نظامه منذ ابتداء تشريعه ، فمن سمع
موعظة ربه فانتهى فلا يسترده ما سلف أن أحده من الربا
وأمره فيه إلى الله ، يحكم فيه بما يراه . وهذا التعبير يوحى
للقلب بأن النجاة من سلف هذا الإثم مرهونة بإرادة الله
ورحمته ، فيظل يتوحد من الأمر ، حتى يقول لنفسه كفا في
هذا الرصيد من العمل السيئ ، ولعل الله أن يعفني من جرائمه
إذا أنا انتهيت وتنت . فلا أصيب إليه جديداً بعد ! . وهكذا

١ - نرجع البحوث القيمة في هذه الموضوعات للأستاذ احمد دودي
وقد سبقتنا الإشارة إليها .

يعالج القرآن مشاعر القلوب بهذا المنهج الفريد .

« وَمَنْ عَادْ فَأُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ » .

وهذا التهديد بحقيقة العذاب في الآخرة يقوي ملامح المنهج التربوي الذي أشرنا إليه ، ويعمقه في القلوب !

ولكن لعل كثيرين يغريهم طول الأمد ، وجهل الموعد فيعتلون من حسابهم حساب الآخرة هذا ! فهاهو ذا القرآن يدرهم كذلك بالمحق في الدنيا والآخرة جميعاً ، ويقرر أن الصدقات - لا الربا - هي التي تربو وتركو ، ثم يصم الذين لا يستجيبون بالكفر والإثم . ويلوح لهم بكرة الله للكفرة الآثمين .

« يَحَقُّ لِلَّهِ الرِّبَا ، وَبِزَيْغِ الصَّدَقَاتِ ، وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرَ أَتَيْتُمْ ... »

وصدق وعيد الله ووعد له . فما نحن أولاء نرى أنه ما من مجتمع يتعامل بالربا ثم تقى فيه بركة أو رخاء أو سعادة أو طمأنينة . . . إن الله يحق الربا فلا يفيض على المجتمع الذي يوحد فيه هذا الدس إلا القحط والشفاء . وقد ترى العين - في ظاهر الأمر - رخاء وإنتاجاً وموارد موفورة ولكن البركة ليست بضخامة الموارد بقدر ما هي في الاستمتاع الآمن بهذه الموارد . وقد أشرنا من قبل إلى الشقوة النكدة التي ترين على قلوب الناس في الدول الغنية الغزيرة الموارد ، وإلى

القلق النعسي الذي لا يدهمه الثراء بل يريده . ومن هذه الدول يمسس القلق والدعر والاضطراب عني العالم كله اليوم حيث تعيش البشرية في تهديد دائم بالحرب المييدة ، كما تصحرو ونسم في هم الحرب الدردة ١ وتثقل الحياه على أعصاب الناس يوماً بعد يوم سواء شعروا بهذا أم لم يشعروا ولا يبارك لهم في مال ولا في عمر ولا في صحة ولا في طمأنينة
 نسال ١

وما من مجتمع قام عني لتكافل والتعاون - الممثلين في الصدقات المفروص منها والمزروك للتطوع وسادته روح لمودة والحب والرصى والسماحة ، والتطلع دائماً إلى فصل الله وثوانه ، والاطمئنان دائماً إلى عونه وإحلافه للصدقة بأصعابها . ما من مجتمع قام على هذا الأساس إلا برك الله لأهله - أفراداً وجماعات - في ما هم ورررقهم ، وفي صحتهم وقوتهم وفي طمأنينة قلوبهم وراحة بالهم .

والذين لا يرون هذه الحقيقة في واقع البشرية ، هم الذين لا يريدون أن يروا ، لأن هم هوى في عدم الروية ! أو الذين رانت عني أعينهم عشاوة الأصول المبتوثة عمداً وقصداً من أصحاب المصلحة في قيام لنظام الرئوي المقيت ، فصعفوا عن روية الحقيقة ٢

« والله لا يحب كل كفار أثيم » .

وهذا التعقيب هنا قاطع في اعتار من يصرون على التعامل

الربوي - بعد تحريمه . من الكفار الآثمين ، الذين لا يحسبهم الله . وما من شك أن الذين يحلون ما حرم الله ينطبق عليهم وصف الكفر والإثم ، ولو قالوا بأنستهم ألف مرة . لا إله إلا الله ، محمد رسول الله . فالإسلام ليس كلمة باللسان ، إنما هو نظام حياة ومسبح عمل : وإنكار حرمه كإنكار الكل . . . وليس في حرمة الربا شبهة : وليس في اعتباره حلالاً وإقامة الحياة على أساسه إلا الكفر والإثم . والعباد بالله

• • •

وفي الصفحة المقابلة لصفحة الكفر والإثم . والتهديد انسحق لأصحاب منهج الربا ونظامه ، يعرض صفحة الإيمان والعمل الصالح . وخصائص الجماعة المؤمنة في هذا الجانب . وقاعدة الحياة المرتكزة إلى العظم الآخر - نظام الزكاة - المقابل لنظام الربا :

« إن الذين آمنوا وعملوا الصالحات ، وأقاموا الصلاة وآتوا الزكاة هم أحقرهم عند ربهم ، ولا خوف عليهم ولا هم يحزنون » .

والعصر البارز في هذه الصفحة هو عصر « الزكاة » عصر العدل فلا عوص ولا رد . والبيان يعرض بهذا صفة المؤمنين وقاعدة المجتمع المؤمن ثم يعرض صورة الأمم والطبائفة والرضى الإلهي المسخ على هذا المجتمع المؤمن .

ب. الزكاة هي قاعدة المجتمع المتكامل لمصالح الذي لا يحتاج إلى صدمات النظام الربوي في أي جانب من جوانب حياته .

وقد هنت صورة الزكاة في حسا وحس الأحياء التابعة من الأمة الإسلامية التي لم تشهد نظام الإسلام مطلقاً في عالم الواقع . ولم تشهد هذا النظام بعموم على أساس التصور الإيماني والربية الإيمانية والأخلاق الإيمانية . فيصوغ النفس لشربة صياغة حاصه ، ثم يقيم هـ لظام الذي تنفس فيه تصوراتها الصحيحة وأخلاقها الطيبة وفصائلها العالية . ويجعل ، الزكاة « قاعدة هـ لظام . في مفاصل نظام الجاهلية الذي يقوم على القاعدة الربويه . ويجعل الحياه تنمو والاقتصاد يرتقي عن طريق الجهد الفردي ، أو لتعاون البريء من الربا ١

هنت هذه لصوره في حس هذه الأحياء التابعة المنكودة الحط التي لم تشهد تلك الصورة الربيعه من صور الإنسابه إنما ولدت وعاشت في عمرة النظام المادي ، القائم على الأساس الربوي . وشهدت الكثرارة والشح . والتكالب والتطاحن والفردية والأثرة التي تحكم صفائر الناس فتجعل المال لا يتنقل إلى من يحتاجون له إلا في الصورة الربويه الحسية ! وجعلت الناس يعيشون بلا صفائات ، ما لم يكن هم رصيد من المال ، أو يكونوا قد اشتركوا بحره من مالهم في مؤسسات التأمين الربويه وجعلت التجارة والصناعة لا تحدد المال الذي تقوم به ، ما لم

تحصل عليه بالطريقة الربوية ^١ فوقر في حس هذه الأجيال
المنكودة الطالع أنه ليس هناك نظام إلا هذا النظام ؛ وأن الحياة
لا تقوم إلا على هذا الأساس !

بهنت صورة الزكاة حتى أصبحت هذه الأجيال تحسها
إحساناً فردياً هربلاً ، لا ينهض على أساسه نظام عصري !
ولكن كم تكون ضخامة حصيلة الزكاة ، وهي تناول اثنين
ونصفاً في المائة من أصل رؤوس الأموال الأهلية مع ربحها ^(١)
يؤديها الناس الذين يصنعهم الإسلام صناعة خاصة ، ويربهم
تربية خاصة ، بالتوجيهات والتشريعات ، وبظام الحياة
الخاص الذي يرتفع تصوره على صماتر الدين لم يعيشوا فيه !
وتخصها الدولة المسلمة ، حقاً مفروضاً ، لا إحساناً فردياً ،
وتكفل بها كل من تفصر به وسائله الخاصة من الجماعة
المسلمة ، حيث يشعر كل فرد أن حياته وحياة أولاده مكفولة
في كل حالة ؛ وحيث يقصى عن العارم المدين ديه سواء كان
ديناً تجارياً أو غير تجاري ، من حصيلة الزكاة .

وليس المهم هو شكية النظام ، إنما المهم هو روحه .
فالمجتمع الذي يريه الإسلام بتوجيهاته وتشريعاته ونظامه ،
متناسق مع شكل النظام وإجراءاته ، متكامل مع التشريعات
والتوجيهات ، يسع التكافل من صماتره ومن تنظيماته معاً

١ - يرتفع هذه النسبة إلى ٥ بالمائة والى ١٠ بالمائة والى ٢٠ بالمائة في
الزروع والكور

متناسقة متكاملة . وهذه حقيقة قد لا يتصورها الذين شأوا وعاشوا في ظل الأنظمة المادية الأخرى ولكنها حقيقة نعرفها نحن - أهل الإسلام - ونتذوقها لذوقنا الإيمانى فإذا كانوا هم محرومين من هذا الدوق لسوء طالعهم ونكد حطهم - وحظ الشرية التي صارت اليهم مغاليدها وقيادتها - فليكن هذا نصيبهم ، وليحرموا من هذا الخير الذي يبشر الله به : « الذين آمنوا وعملوا الصالحات وأقاموا الصلاة وآتوا الزكاة ، ليحرموا من الطمأنينة والرضى ، فوق حرامهم من الأجر والثواب . فإذا محالتهم وجاهلتهم وضلالهم وعنادهم يحرمون !

إن الله - سبحانه - يعد الدين يقيمون حياتهم على الإيمان والصلاح والعبادة والتعاون ، أن يخطط لهم بأجرهم عنه . . . ويعدهم بالأس فلا يخافون وبالسعادة فلا يحزنون : « فلهم أحرهم عبد ربهم ، ولا تخوف عليهم ولا هم يحزنون . . .

في الوقت الذي يوعد أكلة الرنا والمجتمع الربوي بالحق والحق ، وبالنخط والصلال ، وبالقلق والخوف . . .

وشهدت البشرية ذلك واقعاً في المجتمع المسلم ، ونشهد اليوم هذا واقعاً كذلك في المجتمع الربوي ! ولو كنا نملك أن نملك نكل قلب عاجل مبهرة هراً عيباً حتى يستيقظ لهذه الحقيقة الماثلة ، ونملك نكل عين معصية فصيح جصبيها

على هذا الواقع . لو كنا نملك لعلنا . ولكننا لا نملك
إلا أن نشير إلى هذه الحقيقة ، لعل الله أن يهدي الشريعة
المكودة الطالع إليها . . والقلوب بين أصعب من أصابع
الرحمان . والهدى هدى الله . .

• • •

وفي ظل هذا الرخاء الآمن يعد الله به الجماعة المسلمة ، التي
تنبذ الربا من حياتها ، ففسد الكمر والإثم ، وتقيم هذه الحياة
على الإيمان والعمل الصالح والعبادة والزكاة . . في ظل
هذا الرخاء الآمن يهتف بالدين آموا المئات الأحرار ليحولوا
حياتهم عن الطغام الربوي الدنس المقيت ، وإلا فهي الحرب
المعلنة من الله ورسوله ، بلا هوادة ولا إمهال ولا تأخير :

« يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله ، وادروا ما بقي من الربا .
إن كنتم مؤمنين . فإن لم تعملوا فادبوا بحرب من الله ورسوله
وإن كنتم عليكم رؤوس أموالكم لا تظلمون ولا تظلمون » .

إن النص يعلق إيمان الذين آمنوا على ترك ما بقي من الربا .
ههم ليسوا بمؤمنين إلا أن يتقوا الله ويندروا ما بقي من الربا
ليسوا بمؤمنين ولو أعلنوا أنهم مؤمنون . فإنه لا إيمان بغير
طاعة واتباع وإسراع لما أمر الله به . والنص القرآني لا بدعهم
في شبهة من الأمر . ولا بدع إنساناً يستتر وراء كلمة الإيمان
ببما هو لا يطيع ولا يرنصي ما شرع الله . ولا ينعمه في

حياته ، ولا يحكمه في معاملاته فالذين يفرقون في الدين بين الاعتقاد والمعاملات ليسوا بمؤمنين . مهما ادعوا الإيمان وأعلنوا بلسانهم أو حتى شعائر العبادة الأخرى أنهم مؤمنون !

« يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله وذكروا ما بقي من الربا . . . إن كنتم مؤمنين » . . .

لقد ترك لهم ما سلف من الربا لم يقرر استرداده منهم ، ولا مصادرة أموالهم كلها أو جزءاً منها بسبب أن الربا كان داخلاً فيها .. إذ لا تحريم بعير بص ولا حكم بعير تشريع . . . والتشريع ينعد وينشئ آثاره بعد صدوره . . . فأما الذي سلف فأمره إلى الله لا إلى أحكام القانون . وبذلك تجنب الإسلام إحداث هزة اقتصادية واجتماعية ضخمة لو جعل لتشريعته أثراً رجعياً وهو المبدأ الذي أخذ به التشريع الحديث حديثاً ! ذلك أن التشريع الإسلامي موضوع لبواحه حياة البشر الواقعية ، ويسيرها ، ويظهرها ، ويطلقها تسو وترفع معاً وفي الوقت ذاته علق اعتبارهم مؤمنين على قبولهم لهذا التشريع وإنعاده في حياتهم مدبرونه وعلمهم به . واستجاش في قلوبهم — مع هذا — شعور لتقوى الله . وهو الشعور الذي يوطئ به الإسلام تنفيذ شرائعه ، ويجعله الصمام الكامن في ذات الأنفس ، فوق الضمانات المكفولة بالتشريع ذاته . فيكون له من ضمانات التنفيذ ما ليس للشرائع الوضعية التي لا تستند إلا للرقابة الخارجية ! وما أبسر الاحتيال على لرقابة خارجية ،

حين لا يقوم من الصمير حارس له من تقوى الله سلطان .
هذه صفحة الترهيب وإلى حوارها صفحة الترهيب ..
الترهيب الذي يزلزل القلوب :

« فإن لم تعملوا فأدبروا بحرب من الله ورسوله » .

يا للهوب ! حرب من الله ورسوله .. حرب تواجهها
النفس الشريرة .. حرب رهبة معروفة المصير ، مقررة
العاقبة . فأين الإنسان الضعيف القاني من تلك القوة الجارية
الساحقة الماحقة ؟ !

ولقد أمر رسول الله ﷺ عامه على مكة بعد برول هذه
الآيات التي برلت متأخرة أن يحارب آت المعيرة هناك إذا لم
يكفروا عن التعامل الـ بوي . ولقد أمر ﷺ في خطبته يوم فتح
مكة بوضع كل ربا في الجاهلية - وأوله ربا عمه العباس - عن
كاهل المديسين الذين ظلوا يحملونه إلى ما بعد الإسلام فترة
طويلة ، حتى يصح المجتمع المسلم ، واستقرت قواعده ، وحين
أن ينتقل نظامه الاقتصادي كله من قاعدة الربا الوبيثة . وقال
ﷺ في هذه الخطوة :

« وكل ربا في الجاهلية موصوع تحت قدمي هاتين . وأول
ربا أصح ربا العباس » . . . ولم يأمرهم برد الزيادات التي سبق
لهم أخذها في حال الجاهلية .

فالإمام مكلف - حين يقوم المجتمع الإسلامي - أن

محارب الدين يصرون على قاعدة النظام الربوي ، ويعتون عن أمر الله ، ولو أعلنوا أنهم مسلمون ، كما حارب أبو بكر رضي الله عنه - مانعي الزكاة ، مع شهادتهم أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله ، وإقامتهم للصلاة . فليس مسلماً من يأبى طاعة شريعة الله ولا ينمذها في واقع الحياة !

على أن الإيذان بالحرب من الله ورسوله أعم من القتال بالسيف والمدفع من الإمام . فهذه الحرب معلنة - كما قال أصدق القائلين - على كل مجتمع يحمل الربا قاعدة نظامه الاقتصادي والاجتماعي هذه الحرب معلنة في صورتها الشاملة الداهمة العامة . وهي حرب على الأعصاب والقلوب . وحرب على البركة والرخاء وحرب على السعادة والطمأنينة . حرب يسلط الله فيها بعض العصاة لنظامه ومهجه على بعض . حرب المطاردة والمشاكسة . حرب العس والظلم حرب القلق والحواف . وأخيراً حرب السلاح بين الأمم والجيوش والدول . الحرب الساحفة الماحقة التي تقوم ونشأ من جراء النظام الربوي المقيت . فالمرابون أصحاب رؤوس الأموال العالمية هم الذين يوقنون هذه الحروب مباشرة أو عن طريق غير مباشر . وهم يلقون شاكهم فتقع فيها الشركات والصناعات . ثم تقع فيها الشعوب والحكومات ثم يتراحمون على القرائن فتقوم الحرب ! أو يرحقون وراء أموالهم بقوة حكوماتهم وحيوشها فتقوم الحرب ! أو يثقل عبء الضرائب والتكاليف لسداد فوائد ديونهم ، فيعم الفقر والسخط بين

الكادحين والمنتجين ، ويفتحون قلوبهم للدعوات الهدامة فنقوم
الحرب ! وأيسر ما يقع - إن لم يقع هذا كله - هو حراب
النفوس وانهيار الأخلاق ، وانطلاق سمار الشهوات ، ونحطم
الكيان البشري من أساسه ، وتدميره بما لا نعلمه أقطع الحروب
النزية الرعية !

إنها الحرب المشبوبة دائماً وقد أعلنها الله على المتعاملين
بالربا . . . وهي مسعرة الآن تأكل الأخضر واليابس في حياة
الشريعة الصالحة ، وهي عاملة تحسب أنها تكسب وتتقدم كلما
رأت تلال الإنتاج المادي الذي تخرجه المصانع . . . وكانت
هذه التلال حرة بأن تسعد الشر لو أنها نشأت من ميث ركي
ظاهر ، ولكنها . . . وهي تخرج من مسع الربح الملوث - لا تمثل
سوى ركام يخلق أنفاس الشرية ، ويسحقها سحقاً ، في حين
تجلس فوقه شرذمة المرائيين العالميين ، لا تحس آلام الشرية
المسحوقة تحت هذا الركام الملعون !

لقد دعا الإسلام الجماعة المسلمة الأولى . ولا يزال يدعو
الشريعة كلها إلى التشريع الطاهر النظيف وإلى التوبة من
الإثم والخطيئة والمهج الوبي :

« وإن تنتم ملىكم رؤوس أموالكم . لا تظلمون ولا
تظلمون » . . .

فهي التوبة عن خطيئة . إنها خطيئة الجاهلية . الجاهلية التي
لا تتعلق برمان دون زمان ، ولا نظام دون نظام . . . إنما هي

الانحراف عن شريعة الله ومهجه متى كان وحيث كان .
 خلبية نشيء آثارها في مشاعر الأفراد وفي أخلاقهم وفي
 تصورهم للحياة . وتنشئ آثارها في حياة الجماعة وارتباطاتها
 العامة . وتنشئ آثارها في الحياة الشربية كلها ، وفي نموها
 الاقتصادي ذاته . ولو حسب المحدودين بدعاية المرائين ، أنها
 وحدها الأساس الصالح للنمو الاقتصادي^١

واسترداد رأس المال مجرداً ، عدالة لا يظلم فيها دائن ولا
 مدین . . فأما تسمية المال فلها وسائلها الأخرى البريئة الطيبة .
 لها وسيلة الجهد الفردي . ووسيلة المشاركة على طريقة المصروفة
 وهي إعطاء المال لمن يعمل فيه ، ومقاسمته الربح والخسارة .
 ووسيلة الشركات التي تطرح أسهمها مباشرة في السوق بدون
 سندات تأسيس تستأثر بمعظم الربح - وتناول الأرباح الخلال
 من هذا الوجه . ووسيلة إبداعها في المصارف بدون فائدة على أن
 تساهم بها المصارف في الشركات والصاعات والأعمال
 التجارية مباشرة أو غير مباشرة - ولا تعطىها بالمائدة الثانية -
 ثم مقاسمة المودعين الربح على نظام معين أو الخسارة إذا
 فرض ووقعت . . وللمصارف أن تتناول قدرأ معيناً من
 الأجر في نظير إدارتها لهذه الأموال . ووسائل كثيرة ليس
 هنا مجال تفصيلها . وهي ممكنة وميسرة حين تؤمن القلوب ،
 وتصح النبات على ورود المورد الطيف الطاهر ، ونحب
 المورد العفن التبن الآسن^(١).

١ - تراجع بحوث الأستاذ المودودي التي سهقت الإشارة إليها .

ويكمل السياق الأحكام المتعلقة بالدين في حالة الإعسار .
فليس السبيل هو ربا السيئة : بالتأجيل مقابل الزيادة . . . ولكنه
هو الإنظار إلى ميسرة . والتحيب في التصديق به لمن يريد
مزيداً من الخير أوفى وأعلى :

« وإن كان ذو عسرة فنظرة إلى ميسرة . وأن تصدقوا
خير لكم . . . إن كنتم تعلمون . . . »

إنها الساحة البديعة التي يحملها الإسلام للبشرية إنه
الظل الظليل الذي تأوي إليه انشورية المنعة في هجير الأثرة
والشح والطمع والتكالب والسعار . إنها الرحمة للدائن والمدين
وللمجتمع الذي يظل الجميع !

ونحن نعرف أن هذه الكلمات لا تؤدي معهوداً « معقولاً »
في عقول الماكيد الناشئين في هجير الحامية المادية الحاصرة !
وأن مذاقها الحلو لا طعم له في حسم المتحجر البليد .
— وبخاصة وحوش المرائين سواء كانوا أفراداً قابضين في روايا
الأرض يتلمظون للفرائس من المحاويج والمنكوبين الذين
تحل بهم المصائب فيحتاجون للمال ، للطعام والكساء والدواء ،
أو لدهن موتاهم في بعض الأحيان ، فلا يجلبون في هذا العالم
المادي الكر الضنين الشحيح من يمد لهم يد المعونة البيضاء ،
فيلجأون مرغمين إلى أوكار الوحوش ، فرائس سهلة تسعى
إلى القمخاخ بأقدامها . تدفعها الحاجة وترجيها الضرورة ! سواء
كانوا أفراداً هكذا أو كانوا في صورة بيوت مالية ومصارف

ربوية . فكلهم سواء . غير أن هؤلاء يجلسون في المكاتب
المصممة على المقاعد المريحة ، ووراءهم دكان من النظريات
الاقتصادية ، والمؤلفات العلمية ، والأساتذة والمعاهد والجامعات
والتشريعات والقوانين ، والشرطة والمحاكم والجيش ..
كلها قائمة لتبرير جرميتهم وحمايتهم ، وأخذ من يحروا على
التلكو في رد الفائدة الربوية إلى خزائهم باسم القانون . . . !!

نحن نعرف أن هذه الكلمات لا تصل إلى تلك القلوب . .
ولكننا نعرف أنها الحق . وثق أن سعادة الشريعة مرهونة
بالاستماع إليها والأخذ بها .

« وإن كان ذو عسرة مفطرة إلى مبصرة . وأن تصدقوا
خير لكم إن كنتم تعلمون » .

إن المعسر - في الإسلام - لا يطارد من صاحب الدين ، أو
من القانون والمحاكم إنما ينظر حتى يوسر . ثم إن المجتمع
المسلم لا يترك هذا المعسر وعليه دين . فاقه يدعو صاحب
الدين أن يتصدق بدينه - إن تطوع بهذا الخير ، وهو خير لنفسه
كما هو خير للمدين . وهو خير للجماعة كلها ولحياتها
للتكافؤ . لو كان يعلم ما يعلمه الله من سريرة هذا الأمر !

ذلك أن إبطال الربا يفقد شطراً كبيراً من حكمته إذا كان
الدائن سيروح يضايق المدين ، ويصيق عليه الخناق ، وهو معسر
لا يملك السداد . فهنا كان الأمر - في صورة شرط وجواب -

بالانتظار حتى يوسر ويقدر على الوفاء . وكان بحاجته التحبب
في التصديق بالدين كله أو بعضه عند الإعسار .

على أن المصروف الأخرى تحمل لهذا المدين المعسر خطأ من
مصارف الركاكة ، ليؤدي دية ، وييسر حياته . وإنما
الصدقات للعقراء والمساكين . والعارفين . وهم
أصحاب الديون . الذين لم ينفقوا ديونهم على شهواتهم وعلى
لذائدهم . إنما أنفقوها في الطيب الطيف . ثم قدمت بهم
الظروف !

ثم يجيء التعقيب العميق الإجماع . الذي ترحف منه النفس
المؤمنة ، وتتمنى لو نزل عن الدين كله ، ثم تمضي حاجة
من الله يوم الحساب :

« وانتقوا يوماً ترجعون فيه إلى الله ثم توفى كل نفس
ما كسبت ، وهم لا يظلمون » . . .

واليوم الذي يرجعون فيه إلى الله ، ثم توفى كل نفس
ما كسبت يوم عسير ، له في القلب المؤمن وقع ، ومشهده
حاضر في ضمير المؤمن ، وله في ضمير المؤمن هول . والوقوف
بين يدي الله في هذا اليوم خاضع يرزول الكيان !

وهو تعقيب يتناسق مع جو المعاملات . جو الأحد
والمعطاء . جو الكسب والحزاء . إنه النصمية لكبرى للماضي
جميعه بكل ما فيه . والقضاء الأخير في الماضي بين كل من

فيه . فما أحذر القلب المؤمن أن يحشاه وأن يتوقاه

إن التقوى هي الحارس القابع في أعماق الضمير ، يقيمه
الإسلام هناك لا يملك القلب فراراً منه لأنه في الأعماق
هناك !

إنه الإسلام . . النظام القوي . الحلم الندي الممثل في
واقع أرضي . . رحمة الله بالبشر . وتكريم الله للإنسان .
والخير الذي تشرد عنه الشرية ، ويصدها عنه أعداء الله
وأعداء الإنسان !



مِن سُورَةِ آلِ عِمْرَانَ

يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَأْكُلُوا الرِّبَا أَضْعَافًا مُّضَاعَفَةً ،
 وَاتَّقُوا اللَّهَ تَعَلَّكُمْ تُعْلِحُونَ (١٣٠) وَاتَّقُوا النَّارَ الَّتِي أُعِدَّتْ
 لِلْكَافِرِينَ (١٣١) وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَالرَّسُولَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ (١٣٢)
 وَمَارِعُوا إِلَى مَعْصَرَةٍ مِنْ رَبِّكُمْ وَحِجَّةٍ عَرْضُهَا السَّمَاوَاتُ
 وَالْأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ (١٣٣) الَّذِينَ يُنْفِقُونَ فِي السَّرَّاءِ
 وَالصَّرَّاءِ وَالْكَاظِمِينَ الْغَيْظَ وَالْعَافِينَ عَنِ النَّاسِ وَاللَّهُ يُحِبُّ
 الْمُحْسِنِينَ (١٣٤) وَالَّذِينَ إِذَا فَعَلُوا فَاحِشَةً أَوْ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ
 دَخَرُوا اللَّهَ فَأَسْتَغْفَرُوا لِذُنُوبِهِمْ وَمَنْ يَغْفِرِ اللَّهُ فَمَا لَهُ
 اللَّهُ ٢- وَلَمْ يُبْصِرُوا عَلَى مَا فَعَلُوا وَهُمْ يَعْلَمُونَ (١٣٥) أُولَئِكَ
 حَرَّاهُمْ مَغْفِرَةٌ مِنْ رَبِّهِمْ وَجَاءَتْ نَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ

خَالِدِينَ فِيهَا ، وَيَعْمَ آخَرُ الْعَالَمِينَ (١٣٦) .

نحيء هذه التوجيهات كلها قبل الدخول في سياق المعركة الحربية ، تشير إلى خاصية من خواص هذه العقيدة - الوحدة والشمول في مواجهة هذه العقيدة للكيونة الشرية وشااطها كله ، ورده كله إلى محور واحد . محور العبادة لله والعبودية له . والتوجه إليه بالأمر كله ، والوحدة والشمول في مسجع الله وهيمنته على الكيونة الشرية في كل حال من أحوالها ، وفي كل شأن من شؤونها ، وفي كل جانب من جوانب شاطها ، ثم تشير تلك التوجيهات تتجمعها هذا إلى الترابط بين كل ألوان الشاط الإنساني ، وتأثير هذا الترابط في النتائج الأخيرة لسعي الانسان كله ، كما أسلفنا .

وانسجح الإسلامي بأخذ النفس من أقطارها ، وينظم حياة الجماعة حملة لا تقاريق . ومن ثم هذا الجمع بين الإعداد والاستعداد للمعركة الحربية . وبين تطهير النفوس ونطافة لقلوب ، والسيطرة على الأهواء والشهوات ، وإشاعة الود والساحة في الجماعة . . فكلها قريب من قريب . . وحين نستعرض بالتفصيل كل سمة من هذه السمات ، وكل توجيه من هذه التوجيهات ، يتبين لنا ارتباطها الوثيق بحياة الجماعة المسلمة . وبكل مقدراتها في ميدان المعركة وفي سائر ميادين الحياة !

« يا أيها الذين آمنوا لا تأكلوا الربا أضعافاً مضاعفة ، وانتقوا
الله لعلكم تفلحون . وانتقوا النار التي أعدت للكافرين . وأطيعوا
الله والرسول لعلكم ترحمون » .

ولقد سبق الحديث عن الربا والنظام الربوي بالتعصيل في
الجزء الثالث من هذه الظلال^(١) فلا نكرر الحديث عنه
هنا . . . ولكن نقف عند الأضعاف المضاعفة . فإن قوماً
يريدون في هذا الزمان أن يتواروا خلف هذا النص ، ويتداروا
به ، ليقولوا : إن المحرم هو الأضعاف المضاعفة ، أما الأربعة
في المئة و السبعة والتسعة . . . فليست أضعافاً مضاعفة . وليست
داخلة في نطاق التحريم !

ونبدأ فنحسم القول بأن الأضعاف المضاعفة وصف لواقع
وليست شرطاً يتعلق به الحكم ، والنص الذي في سورة البقرة قاطع
في حرمة أصل الربا — بلا تحديد ولا تقييد — : « وذروا ما بقي
من الربا » . . . أيأ كان !

إذا انتهينا من تقرير المدأ فرغنا لهذا الوصف ، لنقول :
إنه في الحقيقة ليس وصفاً تاريخياً فقط للعمليات الربوية التي
كانت واقعة في الجزيرة ، والتي قصد إليها النهي هنا بالذات .
إنما هو وصف ملازم للنظام الربوي المقيت ، أبأ كان سعر
العائدة .

إن النظام الربوي معناه إقامة دورة المال كلها على هذه

١ - ص ٧٠ الى ص ٨٦ من الجزء الثالث من ظلال القرآن ط ٢ منقمة .

القدرة . ومعنى هذا أن العمليات الربوية ليست عمليات مفردة ولا بسيطة . فهي عمليات متكررة من ناحية ، ومركبة من ناحية أخرى . فهي تنشئ مع الزمن والتكرار والتركيب أضغداً مضاعفة بلا جدال .

إن النظام الربوي يحقق بطبيعته دائماً هذا الوصف . فليس هو مفصلاً على العمليات التي كانت متبعة في حضرة العرب . إنما هو وصف ملازم للنظام في كل زمان .

ومن شأن هذا النظام أن يفسد الحياة المادية والحقيقية — كما فصلنا ذلك في الجزء الثالث — كما أن شأنه أن يفسد الحياة الاقتصادية والسياسية — كما فصلنا ذلك أيضاً — ومن ثم تتبين علاقته بحياة الأمة كلها ، وتأثيره في مصائرنا جميعاً .

والإسلام — وهو يشيء الأمة المسلمة — كان يريد لها بظافة الحياة المادية والحقيقية ، كما كان يريد لها سلامة الحياة الاقتصادية والسياسية . وأثر هذا وذاك في نتائج المعارك التي تخوضها الأمة معروف . فاللهي عن أكل الربا في سياق التعقيب على المعركة الحربية أمر يبدو إذن مفهوماً في هذا المسح الشامل الصير .

أما التعقيب على هذا اللهي بالأمر بتقوى الله رجاء الفلاح ، واتقاء النار التي أعدت للكافرين . أما التعقيب بهاتين اللمتين فمفهوم كذلك . وهو أنسب تعقيب :

إنه لا يأكل الربا إنسان يتقي الله ويخاف النار التي أعدت للكافرين .. ولا يأكل الربا إنسان يؤمن بالله ، ويعمل نفسه من صفوف الكافرين .. والإيمان ليس كلمة تقال باللسان ؛ إنما هو اتباع للمنهج الذي جعله الله ترجمة عملية واقعية لهذا الإيمان وجعل الإيمان مقدمة لتحقيقه في الحياة الواقعية ، وتكليف حياة المجتمع وفق مقتضياته .

ومحال أن يجتمع إيمان ونظام ربوي في مكان . وحيثما قام النظام الربوي فهناك الخروج من هذا الدين جملة ؛ وهالك النار التي أعدت للكافرين ! والمماحكة في هذا الأمر لا تخرج عن كونها مماحكة .. والجمع في هذه الآيات بين السهي عن أكل الربا والدعوة إلى تقوى الله ، وإلى اتقاء النار التي أعدت للكافرين ، ليس عبثاً ولا مصادفة إنما هو لتقرير هذه الحقيقة وتعميقها في تصورات المسلمين .

وكذلك رجاء الفلاح بترك الربا وتقوى الله .. فالفلاح هو الثمرة الطبيعية للتقوى ولتحقيق منهج الله في حياة الناس .. ولقد سبق الحديث في الجزء الثالث عن فعل الربا بالمجتمعات البشرية ، وويلاته البشعة في حياة الإنسانية . فنرجع إلى هذا البيان هناك ، لنترك معنى الفلاح هنا ، واقرانه ترك النظام الربوي المقيت !

ثم يحىء التوكيد الأخير :

« وأطيعوا الله والرسول لعلكم ترحمون » ..

وهو أمر عام بالطاعة لله والرسول ، وتعليق الرحمة بهذه الطاعة العامة . ولكن التعقيب به على النهي عن الربا دلالة خاصة هي أنه لا طاعة لله وللرسول في مجتمع يقوم على النظام الربوي ، ولا طاعة لله وللرسول في قلب يأكل الربا في صورة من صور . وهكذا يكون ذلك التعقيب توكيداً بعد توكيد .

وذلك فوق العلاقة الخاصة بين أحداث المعركة التي خولف فيها أمر رسول الله ﷺ وبين الأمر بالطاعة لله وللرسول ، بوصفها وسيلة الفلاح ، وموضع الرجاء فيه .

ثم لقد سبق في سورة البقرة - في الجزء الثالث - أن رأينا السياق هناك يجمع بين الحديث عن الربا ، والحديث عن الصدقة بوصفهما الوجهين المتقابلين للعلاقات الاجتماعية في النظام الاقتصادي ، وبوصفهما السمتين البارزتين لنوعين متباينين من النظم : النظام الربوي . والنظام التعاوني .. فهنا كذلك نجد هذا الجمع في الحديث عن الربا والحديث عن الإنفاق في السراء والضراء ..

فبعد النهي عن أكل الربا ، والتحذير من النار التي أعدت للكافرين ، والدعوة إلى التقوى رجاء الرحمة والفلاح .. بعد هذا يجيء الأمر بالمسارعة إلى المعفرة ، وإلى جنة عرضها السماوات والأرض (أعدت للمتقين) .. ثم يكون الوصف الأول للمتقين هو : « الذين ينفقون في السراء والضراء » - فهم الفريق المقابل

للذين يأكلون الربا أصعافاً مضاعمة - ثم نحى نقيّة الصناعات
والسمات :

« وسارعوا إلى معصرة من ربكم ، وحنة عرضها السماوات
والأرض أعدت للمتقين . الذين ينفقون في السراء والصراء .
والكاظمين الغيظ . والعافين عن الناس والله يحب المحسين
والذين إذا فعلوا فاحشة أو ظنوا أنهم ذكروا الله ، فاستمعروا
لذنوبهم - ومن يعمر الذنوب إلا الله ؟ - ولم يصروا على ما
فعلوا وهم يعلمون .. » ...

والتيير هنا يصور أداء هذه الطاعات في صورة حسية
حركية . يصوره ساقاً إلى هدف أو جائزة تال .

« وسارعوا إلى معصرة من ربكم » . « وحنة عرضها
السماوات والأرض .. » سارعوا فهي هناك : المعفرة والحنة .
« أعدت للمتقين » .

ثم يأخذ في بيان صناعات المتقين

« الذين ينفقون في السراء والصراء .. »

فهم ثاتون على البدل ، ماصون على النهج ، لا تعبرهم
السراء ولا تعبرهم الصراء . السراء لا تنظرهم قلهبهم والصراء
لا تضجرهم فتسبهم . إنما هو الشعور بالواجب في كل حال ،
والتححرر من الشح والحرص ، ومراقبة الله وتقواه .. وما يدفع
النفس الشحيحة بطعنها ، المحنة للمال لمطرتها .. ما يدفع النفس

الى الإنفاق في كل حال ، إلا دافع أقوى من شهوة المال ،
ورقة الحرص ، وثقة الشح دافع لتقوى ذلك لشعور
اللطيف العميق ، الذي تشف به الروح وتخلص ، وتطلق من
القيود والأغلال ..

ولعل لتقوية هذه الصمة مناسبة خاصة كذلك في جو هذه
المعركة نحن نرى الحديث عن الإنفاق يتكرر فيها ، كما نرى
السديد بالمتعير والمالعين للبدل - كما سيأتي في السياق القرآني
مكرراً كذلك مما يشير الى ملائسات خاصة في جو الغزوة ،
وموقف بعض الفئات من الدعوة إلى الإنفاق في سبيل الله
« والكاذمين العيظ والعافين عن الناس »

كذلك نعمل لتقوى في هذا الحق ، بنفس البواعث وبمفسدات
والغيظ افعال شريرة ، تصاحبه أو تلاصقه فورة في الدم ، فهو
إحدى دفعات التكوين البشري ، وإحدى ضروراته ، وما يقلبه
الإنسان إلا بتلك الشفافية الطليقة المسعة من إشراق التقوى ،
ولا بتلك القوة الروحية المستفقة من التطلع الى أفق أعلى وأوسع
من آفاق الذات والضرورات .

وكظم العيظ هو المرحلة الأولى وهي وحده لا تكفي .
بعد يكظم الإنسان عيظه ليحقد ويصططم ، ويتحول العيظ الفائر
إلى إحنة عائرة ، ويتحول العصب الطاهر إلى حقد ذهين .. وإن
العيظ والعصب لأنطف وأطهر من الحقد والصنع .. لذلك
يستمر النص ليقرر النهاية الطليقة لذلك العيظ الكظيم في نفوس
المتقين .. إنها العمو والسماحة والانطلاق ..

إن العيظ وقر على النفس حين تكظمه ، وشواط يلصق القلب ، ودخان يحشى لصمير . فأما حين تصفح النفس ويعفو القلب ، فهو الانطلاق من ذلك الوقر ، والرفرفة في آفاق النور والبرد في القلب ، والسلام في الصمير .

« واقع يحب المحسين » ..

والدين يحدون بالمال في السراء والبصراء محسون . والدين يحدون بالعمو والسماحة بعد العيظ والكظم محسون .. والله « يحب » المحسين . وأحب ما هو التعبير الودود الخافي المشرق المير ، الذي يتناسق مع ذلك الجو اللطيف انوصي الكريم ..

ومن حب الله للإحسان وللمحسين ، يطلق حب الإحسان في قلوب أحيائه . وتستق الرعة الدافئة في هذه القلوب .. فليس هو مجرد التعبير الموحى ، ولكنها الحقيقة كذلك وراء التعبير !

والجماعة التي يحبها الله ، وتحب الله . والتي تشيع فيها السماحة واليسر والطلاقة من الإحسان والأصعان .. هي جماعة متصامة . وجماعة متآحة . وجماعة قوية . ومن ثم علاقة هذا التوجيه بالمعركة في الميدان والمعركة في الحياة على السواء في هذا السياق !

ثم ينتقل إلى صفة أخرى من صفات المتقين .

« والدين إذا فعلوا فاحشة أو ظلموا أنفسهم ذكروا الله فاستعصموا لذنوبهم — ومن يعص الذنوب إلا الله ؟ — ولم يصروا

على ما فعلوا وهم يعلمون . .

يا سماحة هذا الدين ! إن الله - سبحانه - لا يدعو الناس إلى السماحة فيما يبيهم حتى يطلعهم على حاب من سماحته - سبحانه وتعالى - معهم . ليتدوقوا ويتعلموا ويفتسوا

إن المتقين في أعلى مراتب المؤمنين ولكن سماحة هذا الدين ورحمته بالشر تسدث في عداد المتقين . الدين إذا فعلوا فاحشة أو ظلموا أنفسهم ذكروا الله فاستغفروا لدنوبهم . . .
والفاحشة أشنع الذنوب وأكبرها ولكن سماحة هذا الدين لا تطرد من يهود إليها ، من رحمة الله ولا تجعلهم في دبل العقاب . قافة المؤمنين . . إنما ترتفع بهم إلى أعلى مرتبة . . مرتبة المتقين . على شرط واحد . شرط يكشف عن طبيعة هذا الدين ووجهته أن يذكروا الله فيستغفروا لذنوبهم ، وألا يبصروا على ما فعلوا وهم يعلمون أنه الخطيئة . وألا يتحجوا بالمعصية في غير تحرج ولا حياء . وبمارة أخرى أن يكونوا في إطار العبودية لله ، والاستسلام له في النهاية فيطلبوا في كنف الله وفي محيط عموه ورحمته وفصله .

إن هذا الدين يترك ضعف هذا المخلوق الشرعي الذي تهبط به ثقة الجسد أحبباً إلى ذك الفاحشة . وتبيح به هورة اللحم والدم فيزو برة الحيوان في حمى الشهوة ، وتدفعه برواته وشهواته وأطماعه ورغباته إلى المحالفة عن أمر الله في حمى الاندفاع . يترك ضعفه هذا فلا يقسو عليه ، ولا يبادر إلى

طرده من رحمة الله حين يظلم نفسه حين يرتكب الفاحشة ..
 المعصية الكبيرة .. وحسبه أن شعلة الإيمان ما تزال في روحه لم
 تنطفيء ، وأن مداوة الإيمان ما تزال في قلبه لم تجف ، وأن صلته
 بالله ما تزال حية لم تذبل ، وأنه يعرف أنه عبد محطىء وأن له رباً
 يغفر . وإذن فما يزال هذا المخلوق الضعيف الخاطيء المذنب
 بخير إنه سائر في الدرب لم ينقطع به الطريق ، ممسك بالعروة لم
 ينقطع به الحل ، فليعثر ما شاء له ضعفه أن يعثر . فهو واصل
 في النهاية ما دامت الشعنة معه ، والحل في يده ما دام يذكر الله
 ولا ينساه ، ويستغفره ويقر بالعودية له ولا يتبجح بمعصيته

إنه لا يفلت في وجه هذا المخلوق الضعيف الضال ناب
 التوبة ، ولا يلقيه مبيوداً حائراً في التيه ! ولا يدعه مطروداً حائماً
 من المآب إنه يطمعه في المعصرة ، وبذله على الطريق ، ويأخذ
 بيده المرتعشة ، ويسد خطوته المتعثرة ، وينير له الطريق ،
 ليقبض إلى الحمى الآمن ، ويثوب إلى الكنف الأمين .

شيء واحد يتطله ألا يحف قلبه ، وتظلم روحه ، فيسى
 الله .. وما دام يذكر الله . ما دام في روحه ذلك المشعل الهادي .
 ما دام في صميره ذلك الحافز الحادي . ما دام في قلبه ذلك الندى
 الليل . فيسطع النور في روحه من جديد وسيؤوب إلى الحمى
 الآمن من جديد ، وستنبت البذرة الهامدة من جديد .

إن ظمئك الذي يحطىء ويعرف أن السوط — لا سواء
 في الدار . سيروح آتقاً شاردأ لا يثوب إلى الدار أبداً فأما إذا

كان يعلم أن إلى جانب الوط بدأ حاية . تربت على صغفه
حين يعتذر من الدب ، وتقبل عذره حين يستعمر من الخطيئة
فيه سبعود !

وهكذا يأخذ الإسلام هذا المخلوق الشرقي لصعيف في
لحظات صغفه . فيه يعلم أن فيه يجذب الصعف قوة ، وحباب
الثقله رفرقة . وحباب التروة الحيوانية أشواقاً ربابية فهو
يعطف عليه في لحظة الصعف ليأخذ بيده إلى مرآتي الصعود ،
ويرت عليه في لحظة العثرة يبلحق به إلى الأفق من جديد
ما دام يذكر الله ولا يساء ، ولا يصر على الخطيئة وهو يعلم
أنها الخطيئة ^١ ولرسول ﷺ يقول : « ما أصر من استعمر ،
وإن عاد في اليوم سبعين مرة » ^(١)

والإسلام لا يدعو - هذا - إلى لرحص ، ولا يمحذ
العائر الحائط ، ولا يهتف به بحمال المستقع ^٢ كما تهتف
« الواقعية » ^٣ إنما هو يقبل عثرة الصعف . لستعجش في الصع
الإنسانية الرحاء ، كما يستعجش فيها أحياء ^٤ فالمعصرة من الله
- ومن يعمر الدنوب إلا الله ^٥ - تحجل ولا تطمع . وتثير
الاستعمار ولا تثير الاستهتار ، فأما الذين يستهترون ويصرون .
فهم همالك خارج الأسوار ، موصدة في وجوههم الأسوار ^٦

١ - رواه أبو داود والترمذي والبرار في مسنده من حديث عثمان بن واقد
في مسنده صحابي مجهول ولكن ابن كثير في تفسيره صححه وقال
« حديث حسن » .

وهكذا يجمع الإسلام بين اهتمام للشريعة إلى الآفاق العلاء ،
والرحمة لهذه الشريعة التي يعلم طاقتها . ويفتح أمامها باب الرحاء
أبداً ، ويأخذ بيدها إلى أقصى طاقتها (١) .

... هؤلاء المتقون ما لهم ؟

« أولئك لهم معمرة من ربهم وحات تجري من تحتها
الأنهار خالدين فيها ونعم أجر العاملين »

فهم ليسوا سلبين بالاستعداد من المعصية . كما أنهم ليسوا
سلبين بالإلحاق في لسراء والضرراء . وكظم العيظ والعفو عن
الناس . إنما هم عاملون « ونعم أجر العاملين » المعمرة من
ربهم . والجنة تجري من تحتها الأنهار بعد المعصرة وحب الله .
مهالك عمل في أعوار النفس . وهالك عمل في طاهر الحياة .
وكلاهما حركة ، وكلاهما تمام .

وهناك الصلة بين هذه السمات كلها وبين معركة الميدان
التي يتعقها السياق وكما أن للصوم الروي - أو النظام لتعاوني
أثره في حياة الجماعة المسلمة وعلاقته بالمعركة في الميدان ،
فكذلك هذه السمات النفسية والجماعية أثرها الذي أشربا إليه
في مطلع الحديث والانتصار على الشح . والانتصار على الجسد
والانتصار على الخطيئة . والرجعة إلى الله وطب معمرته ورحمته

١ - يرجع بتوسع بعض « سلام النصر » في كتاب « السلام العالمي
والإسلام » ..

كلها ضرورية للانتصار على الأعداء في المعركة . وهم إنما كانوا أعداء لأنهم يمثلون الشح والخرى والخطيئة والتبجح ! وهم إنما كانوا أعداء لأنهم لا يخلصون ذواتهم وشهواتهم ونظام حياتهم لله ومنهجه وشريعته . ففي هذا تكون العداوة ، وفي هذا تكون المعركة ، وفي هذا يكون الجهاد . وليس هنالك أسباب أخرى يعادي فيها المسلم ويعارك ويجاهد . فهو إنما يعادي الله ، ويعارك الله ، ويجاهد الله ! فالصلة وثيقة بين هذه التوجيهات كلها وبين استعراض المعركة في هذا السياق .. كما أن الصلة وثيقة بينها وبين الملابس الخاصة التي صاحبت هذه المعركة . من محالمة عن أمر رسول الله ﷺ ومن طمع في العبيبة نشأت عنه المخالفة ومن اعتزاز بالذات والهووى بشأ عنه تخلف عبد الله بن أبي ومن معه . ومن ضعف بالذنب نشأ عنه تولي من تولي كما سيرد في السياق - ومن غش في التصور نشأ عنه عدم رد الأمور إلى الله ، وسؤال بعضهم : « هل لنا من الأمر شيء ؟ » وقول بعضهم : « لو كان لنا من الأمر شيء ما قتلنا هاهنا » ..

والقرآن يتناول هذه الملابس كلها ، واحدة واحدة ، فيجملوها ، ويقرر الحقائق فيها ، ويلمس النفوس لمسات موحية تستجيشها وتحييها .. على هذا النحو الفريد الذي نرى نماذج منه في هذا السياق .

مِنْ سُورَةِ النِّسَاءِ

«فَطُغِمَ مِنَ الدِّينِ هَادُوا حَرَّمْنَا عَلَيْهِمْ طَيِّبَاتٍ أُحِلَّتْ لَهُمْ، وَبَصَدُّهُمْ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ كَثِيرًا» (١٦٠) وَأَحْذِهِمُ الرُّبَا وَقَدْ بُهُوا عَنْهُ. وَأَكْلِهِمْ أَمْوَالَ النَّاسِ بِالْبَاطِلِ، وَأَعْتَدْنَا لِلْكَافِرِينَ مِنْهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا» (١٦١).

« فطغم من الدين هادوا حرمتنا عليهم طيبات أحلت لهم ، وبصدهم عن سبيل الله كثيراً وأحذهم الربا وقد بهوا عنه . وأكلهم أموال الناس بالباطل . وأعدنا للكافرين منهم عذاباً أليماً » .

فيضيف إلى ما سبق من منكرهم هذه المكرات الحديدية .
الطغم . والصد الكثير عن سبيل الله . فهم محثون فيه ودائون عليه . وأحذهم الربا - لا عن جهل ولا عن قلة نبيه - فقد

هوا عنه فأصروا عليه ! وأكلهم أموال الناس بالباطل . بالربا
وبغيره من الوسائل

نسب من هذه المنكرات . ومما أسدده السياق منها حرمت
عبيهم طيبات كانت حلالاً لهم . وأعد الله للكافرين منهم
عذاباً أليماً .

وهكذا تتكشف هذه الحملة عن كشف صيغة اليهود
وتاريخهم ، وفصح تعلانهم وعدم الاستجابة لرسول وتعتهم ،
ودمهم بالتعت مع نبيهم وقتلهم ومقتلهم ، ويسر ارتكابهم
للمكر وحهرهم بالسوء في حق الأنبياء والصالحين بل قتلهم
والتحجج بقتلهم ! وتسفك بذلك وتهاوى دسائس اليهود في
الصف المسلم وكيدهم ومكرهم وحائلهم وتعرف الجماعة
المسلمة ما يسعى أن تعرفه الأمة المسمة في كل حين - عن
طبيعة اليهود وجنتهم ، ووسائلهم وطرائقهم ، ومدى وقوفهم
للحق في داته سواء جاء من غيرهم أو بيع بينهم فهم أعداء
للحق وأهله ، وللهدي رحلته . في كل أجيالهم وفي كل
أزمانهم مع أصدقائهم ومع أعدائهم لأن جنتهم عدوة
للحق في داته ، جاسة قلوبهم ، عبيطة أكبادهم لا يحسون
روؤسهم إلا بمطرقة ! ولا يسمون للحق إلا وسيف القوة
مصلت على رقابهم . .

وما كان هذا التعريف بهذا الصف من الخلق ، ليفسر
على الجماعة المسمة الأولى في المدينة ، فالقرآن هو كتاب هذه

الأمة ما عاشت ، وهذا استمته عن أعدائها أفتاها ، وهذا
 استنصحت في أمرهم نصح لها . وهذا استرشدت به أرشدها .
 وقد أفتاها ونصح لها وأرشدها في شأن يهود ، فدانت لها
 رقابهم . ثم لما اتحدته مهجوراً دانت هي لليهود . كما
 رأيناها تنحجم فتعلها منهم الشرذمة الصغيرة ، وهي عذلة
 عن كتابها القرآن شاردة عن هديه . منبهة به ورءاها
 ظهراً ' مسعة قول هلال وهلال ' ' وستعى كذلك عارقة
 في كد يهود وقهر يهود . حتى تثوب إلى لقرآن

ولا يترك اساق الموقف مع لليهود . حتى يصف القليل
 المؤمن منهم . ويفرر حسر حرائيم وهو بصمهم إلى موكب
 الإيمان العريق . ويشهد لهم ناعيم والإيمان . ويقرر أن
 الذي هداهم إلى التصديق بالدين كله ما أرسل إلى الرسول ﷺ
 وما أرسل من قبله . هو الفسوخ في لعنم وهو الإيمان

مِنْ سُورَةِ الرُّومِ

«فَآتِ ذَا الْقُرْبَىٰ حَقَّهُ وَالْيَسِيرَ وَأَمِّنَ السَّبِيلَ ذَٰلِكَ
خَيْرٌ لِّلَّذِينَ يُرِيدُونَ وَجْهَ اللَّهِ وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ (٣٨)
«وَمَا آتَيْتُم مِّن رِّبَا لِّيَرْبُوَا فِي أَمْوَالِ النَّاسِ فَلَا يَرْبُوَا
عِندَ اللَّهِ وَمَا آتَيْتُم مِّن زَكَاةٍ تُرِيدُونَ وَجْهَ اللَّهِ فَأُولَٰئِكَ هُمُ
الْمُضِلُّونَ» (٣٩)

وما دام المال مال الله ، أعطاه رزقاً لبعض عباده ، فالله
صاحب المال الأول قد قرر قسماً منه لعتات من عباده ، يؤديها
إليهم من يضع يده على ذلك المال ومن ثم سماها حقاً . ويذكر
هنا من هذه العتات « ذا القربى والمساكين وابن السبيل » .
ولم تكن الزكاة بعد قد حددت ولا مستحقوها قد حصروا .
ولكن المبدأ كان قد تقرر . مبدأ أن المال مال الله ، بما أنه هو

الرازق به ، وأن لقشات من المحتاجين حقاً فيه مقررأ لهم من صاحب المال الحقيقي ، يصل إليهم عن طريق واضح اليد على هذا المال . . وهذا هو أساس النظرية الإسلامية في المال . وإلى هذا الأساس ترجع جميع التفريعات في النظرية الاقتصادية للإسلام . فما دام المال مال الله ، فهو خاضع إذن لكل ما يقرره الله بشأنه بوصفه المالك الأول ، سواء في طريقة تملكه أو في طريقة تنميته ، أو في طريقة إنفاقه ، وليس واضح اليد حراً في أن يفعل به ما يشاء .

وهو هنا يوجه أصحاب المال الذين احتارهم ليكونوا أماناً عليه إلى خير الطرق للتنمية والإفلاح . وهي إيتاء دي القربى والمسكين وابن السبيل ، والإنفاق بصفة عامة في سبيل الله :

« ذلك خيرٌ للذين يريدون وجه الله وأولئك هم المفلحون »

وكان بعضهم يحاول تنمية ماله بإعداد هدايا إلى الموسرين من الناس ، كي ترد عليه الهدية مصاعمة ! فبين لهم أن هذا ليس الطريق للنماء الحقيقي . « وما أتيتم من رباً ليربو في أموال الناس فلا يربو عند الله » . . هذا ما تذكره الروايات عن المقصود بالآية وإن كان نصها بإطلاقه يشمل جميع الوسائل التي يريد بها أصحابها أن ينمو أموالهم بطريقة ربوية في أي شكل من الأشكال (١) . . وبين لهم في الوقت ذاته وسيلة

١ - غير أن هذه الطريقة لا حرمة فيها كحرمة الربا المعروف ، فمرأنها ليست طريقة للنماء الزكي الكريم .

الماء الحقيقية :

« وما آتيتهم من زكاة تربدوا وجه الله فأولئك هم المضعفون » .

هذه هي الوسيلة المضمومة لمضاعمة المال . إعطاؤه بلا مقابل وبلا انتظار رد ولا عوص من الناس . إنما هي إرادة وجه الله ، أليس هو الذي يسط الرق ويقلر ؟ أليس هو الذي يعطي الناس ويمع ؟ فهو الذي يصاعف إدا للمنفين انتعاء وجهه ؛ وهو الذي ينقص مال المرائين الذين يتعون وحوه الناس . ذلك حباب الدنيا ، وهاك حباب الآخرة وفيه أضعاف مضاعمة . فهي التجارة الراححة ها وهاك !

الفهرس

الصفحة

•	من سورة القرة
٤٧	من سورة آل عمران
٦١	من سورة النساء
٦٤	من سورة الروم

مصدر عن دلالة الشريعة

في شريعة قانونية كاملة

مكتبة الأستاذ سيد قطب

- في ظلال القرآن
- مشاهد القيامة في القرآن
- التصوير الفني في القرآن
- الإسلام ومشكلات الحضارة
- خصائص التصور الإسلامي ومقوماته
- النقد الأدبي أصوله ومناهجه
- مهمة الشاعر في الحياة
- هذا الدين
- السلام العالي والإسلام
- معالم في الطريق
- دراسات إسلامية
- نحو مجتمع إسلامي
- في التاريخ فكرة ومنهاج
- تفسير آيات الربا
- تفسير سورة الشورى
- كتب وشخصيات
- المستقبل لهذا الدين
- معركتنا مع اليهود
- معركة الإسلام والرأسمالية
- العلاقة الاجتماعية في الإسلام

مكتبة الأستاذ محمد قطب

- الإنسان بين المادية والإسلام
- منهج الفن الإسلامي
- منهج التربية الإسلامية (الجزء الأول)
- منهج التربية الإسلامية (الجزء الثاني)
- معركة التقاليد
- في النفس والمجتمع
- التطور والثبات في حياة البشرية
- دراسات في النفس الإنسانية
- هل نحن مسلمون
- قبسات من الرسول
- شبهات حول الإسلام
- جاهلية القرن العشرين
- دراسات قرآنية
- مفاهيم ينبغي أن تصحح
- مذاهب فكرية معاصرة
- كيف نكتب التاريخ الإسلامي
- تحت الطبع
- المستشرقون والإسلام

من كتب دار الشروق الإسلامية

- مصحف الشروق للمفسر الميسر
 مختصر تفسير الإمام الطبري
 تحفة المصاحف وكنة التفسير
 في أحجام مختلفة وطبعات متصلة لبعض الأجزاء
 تفسير القرآن الكريم
 الإمام الأكبر محمود شلتوت
 الإسلام عقيدة وشرعة
 الإمام الأكبر محمود شلتوت
 الفتاوى
 الإمام الأكبر محمود شلتوت
 من توجيهات الإسلام
 الإمام الأكبر محمود شلتوت
 إلى القرآن الكريم
 الإمام الأكبر محمود شلتوت
 الوصايا العشر
 الإمام الأكبر محمود شلتوت
 المسلم في عالم الاقتصاد
 الأستاذ مالك بن نبي
 أنبياء الله
 الأستاذ أحمد حجت
 نبي الإنسانية
 الأستاذ أحمد حجت
 وهاية لا رهاية
 أبو الحسن علي الحسيني القدوري
 الحجبة في القرآنيات السبع
 تحقيق وتقديم الدكتور عبد القادر سالم مكرم
 الفكر الإسلامي بين العقل والوحي
 الدكتور عبد القادر سالم مكرم
 على مفارقات القرن الخامس عشر الهجري
 الأستاذ إبراهيم بن علي المؤيد
 الرسالة الثالثة
 الأستاذ عبد الرحمن حزام
 محمد رسولاً نبياً
 الأستاذ عبد الرزاق نوفل
 مسلمون بلا مشاكل
 الأستاذ عبد الرزاق نوفل
 الإسلام في مکتوب الطرق
 الدكتور أحمد حمزة
 العقوبة في الفقه الإسلامي
 الدكتور أحمد فتحي بهسي
 موقف الشريعة من نظرية الدفاع الاجتماعي
 الدكتور أحمد فتحي بهسي
 الجرائم في الفقه الإسلامي
 الدكتور أحمد فتحي بهسي
 مدخل الفقه الجنائي الإسلامي
 الدكتور أحمد فتحي بهسي
 القصاص في الفقه الإسلامي
 الدكتور أحمد فتحي بهسي
 النية في الشريعة الإسلامية
 الدكتور أحمد فتحي بهسي
 الإسرار والمخارج
 فضيلة الشيخ متولي الشعراوي

الفتاوى والقدر

فضيلة الشيخ منوّل الشحرابي

قضايا إسلامية

فضيلة الشيخ منوّل الشحرابي

التحجير القمي في القرآن

الدكتور بكرى الشيخ أمين

أدب الحديث النبوي

الدكتور بكرى الشيخ أمين

الإسلام في مواجهة الماديين والملحدين

الأستاذ عبد الكريم الخطيب

اليهود في القرآن

الأستاذ عبد الكريم الخطيب

أنام الله

الأستاذ عبد الكريم الخطيب

مسلمون وكفى

الأستاذ عبد الكريم الخطيب

الدعوة الوعائية

الأستاذ عبد الكريم الخطيب

قال الأولون - أحبّ ودين

الأستاذ السيد أبو ضيف المدني

لل يا رب

الأستاذ السيد أبو ضيف المدني

الإيمان الحق

المستشار علي جريشة

الجديد حول أسماء الله الحسنى

الأستاذ عبد المغيّ سعيد

العبادة والمتمتع في الصيام

الدكتور عبد العظيم المطمعي

مناسك الحج والعمرة في ضوء المذاهب الأربعة

الدكتور عبد العظيم المطمعي

أنها المولد المحب

الإمام النزالي

الأدب في الدين

الإمام النزالي

شرح الوصايا العشر

للإمام حسن البنا

القرآن والسلطان

الأستاذ فصي حويدي

خطايا الإسماء والمخارج

الأستاذ مصطفى الكيك

الخطابة وإعداد الخطيب

الدكتور عبد الحليل شامي

تأريخ القرآن

الأستاذ إبراهيم الأبياري

الإسلام والمبادئ المستوردة

الدكتور عبد المنعم النمر

سلسلة أعلام الإسلام ١٦/١

سلسلة أهل البيت ١/١

إسهام علماء المسلمين في الرياضيات

تأليف الدكتور علي عبد الله الدفّاع

تعريب وتعليق الدكتور صلاح شوقي

مراجعة الدكتور عبد العزيز السيد

الخبر الواحد في السنة والتراث وأثره في الفقه

الإسلامي

الدكتورة سهر رشاد مهنا

الأذهان القديمة في الشرق

دكتور رؤوف خلقي

